من مطبوعات الرابطة (8)

شعـــر

الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله،

عرَّبه وقدّم له

الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

والشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، رائد الشعر البنجابي وقائده دون منازع، هو إمام الشعر الصوفي ليس في إقليم بنجاب فحسب بل في شـــبه القارة كلها عبر التاريخ، وهو يعتبر عند الباحثين لبنة أساسية يقوم علـــيها تـــاريخ الشعر البنجابي، إذ لم يعرف قبله شاعر بنجابي، ليس بين المسلمين فحسب بل بين غيرهم من سكان إقليم بنجاب (أي أرض الأنهار الخمســـة) عبر تاريخه الطويل، فهو، إذن ، أبو الشعر البنجابي، وأول من قـــرض الشعر بلغة بنجاب، ومهد الطريق لشعرائها الذين جاءوا من بعده وقلدوه في لفظ الشعر ومعناه و في أسلوبه الأدبي الذي اختاره للتعبير به، وقد احتفظ التاريخ بشعره الذي وصل إلينا بالوسائط المتعددة المتنوعة التي سوف نعرفها، وأخذ شعراؤنا المعاصرون يقرضون الشعر البنجابي، بأنواعه الكثيرة المتعارف عليها في كل لغة معاصرة من لغات الشرق والغرب، على مـــنواله، إلا أن الفضل دائما يرجع إلى الرائد المتقدم الذي، هنا هو شيخ الشـــيوخ المتصـــوفين الشيخ فريد الذي اكتسب في الشعر البنجابي نفس المكانـــة الـــتي يحتـــلها(ولي) الدكـــني في الشـــعر الأردي أو الـــتي

يستحقها(رودكي) في الشعر الفارسي، أو ما ناله أبودواد الإيادي أو عمرو بـــن قميئة أو عدي بن ربيعة المهلهل، الذي هلهل الشعر العربي أي رققه، والذي هو أول من قصد القصائد العربية، في الشعر العربي، كما صرح به غـــير واحد من أئمة اللغة العربية وآدابها، فذلك هو الفضل الفريد الذي حـــازه الشيخ فريد الدين مسعود الأجودهني في الشعر الناعم النضر للغة أرض الأنهار الخمسة التي لم تزل ولا تزال تروي هذه الأرض الخصبة الطيبة السخية الكثيرة الخيرات كما يروي شعر فريد عقول أهل بنجاب وينورها ويغذيها تغذية معنوية صالحة على تعاقب الأجيال ومرور الأيام!

وقد ولد هذا الشاعر البنجابي الفريد والعالم النبيل والصوفي الفذ، على ما صـــح عند الباحثين المحققين، ونراه صوابا، في النصف الأخير من القرن الهجري السادس وبالضبط في 569هـــ(1186م)ويؤيده ماجاء في سير الأولياء للكرماني وما رواه صاحب أخبار الأخيار الشيخ عبد الحق المحدث الدهلـــوي من مدة حياة الشاعر وتاريخ وفاته، وقد قيل إن مولد الشيخ فـــريد الديـــن مسعود، رحمه الله، 571هـــ ، وقيل 584هـــ ، وأما المكان الـــذي ولد فيه فهي قرية كانت ولاتزال تقع على مقربة من مدينة ملتان العريقة وتسمى"كوثي وال" ومعناها القرية ذات القصر أو الفيلا، وللناس في نطقها مذاهب، والذي صح عندنا هو ما حققه و صوبه الأستاذ الأديب العلامـــة(محمـــد آصف خان) في مقدمة ديوان الشاعر الذي طبع ونشر بتحقيقه وبهوامشه المفيدة ومقدمته الطويلة القيمة، وقد صوب تلك التسمية والـــنطق بـــها بعد سفر طويل شاق قد اختاره خصيصا لهـــذا الغرض،

فوصل إلى ذلك المكان فساءل الناس من أهله عن اسمه في القديم والحديث فقيل له إنها قرية صغيرة لا تزال عامرة وبها قبور آباء الشيخ فريد الذي ولد بها في أسرة عربية مهاجرة تحدرت من قندهار في أفغانستان فنـــزلت بتلك القرية وقد كان جده شعيب بن أحمد من أهل العلم والفضل فعينوه خطيبا بمســـجدها الجامع وقاضيا بمحكمتها، وكان أحد أبنائه البررة الشيخ جمال الديـــن سليمان بن شعيب والد الشيخ الذي تزوج امرأة صالحة من بنات الشـــيخ وجـــيه الديـــن الخجـــندي من القاطنين بالمنطقة وكانت تسمي قرســـوم(ولعل الصواب كلثوم؟!) فهذان الزوجان الكريمان كانا قد رزقا بمولود سعيد قد قدر الله له أن يعرف بالشيخ فريد الدين مسعود من كبار الصـــوفية الجشتية في شبه القارة، وإليه تنتهي السلسة في بنجاب وبه وجد الكثيرون من أتباعها، وقد انتشرت السلسلة في الأنحاء وتشعبت منها فروع لها ليس في إقليم بنجاب فحسب بل في أنحاء شبه القارة كلها، وقد اشتهر أصـــحاب هذه الفروع وعرفوا بخلفاء الشيخ فريد وأتباعه، ولهم دور مهم مفـــيد في دعوة الإسلام وبناء المجتمع الإسلامي في هذه البلاد التي حكمها الملوك المسلمون إلى ألف عام أو أكثر.

وبما أن الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، كان قد عمر طويلا وكاد يبلغ مئة سنة من العمر، قد اشتهر، بين مواطنيه وأهله ومن تبعهم من الأجيال إلى يومنا هذا، "بالبابا" ومعناها بالبنجابية الجد أو من شابـــهه من الكبراء، ولا يزال الناس يذكرونه بذلك اللقب أو الاسم حتى أنه قد صار جزء ا من الإسم العلم له فقالوا:"بابا فريد" كما أنه قد عرف واشتهر على

ألسنة العامة والخاصة بلقب أخر يكاد يكون جزء ا من اسمه العلم وهو "كنز السكر أو معدن السكر" وهذا اللقب يليق به فقد كان، رحمه الله، كنزا من كنوز الحلاوة ومعدنا من معادن الخلق الحسن في حديثه العذب وكلامه اللين وسلوكه الكريم، وقد لقبه بذلك شيخ طريقته ومرشده الصوفي الولي الشيخ قطب الدين بختيار الكاكي، رحمه الله، وذلك أن الشيخ فريد قد كان قامع الشهوات وقاهر اللذات يحب الفقر الغيور ويفضله على الغناء والمال والثروات ويكابد الجوع ليل نهار ويختاره على الشبع عاملا في ذلك بسنة سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي قال الفقر فخري، والذي كان يحب الفقراء ويميل إلى المساكين ويزهد في الدنيا وما فيها من اللذات الفانية والزخارف الكاذبة فيروي أن فريدا كان جائعا مرة من المرات قد أنهكه الجوع وأتعبه، فوضع الحصاة في فيه يعلل بها نفسه فبداله كأن الحصاة قد استحالت إلى قطع من السكر فحكي ذلك لشيخ طريقته فقال له: أنت كنز السكر ومعدنه يا سيدي" فأرسلها مثلا سائرا على ألسنة الناس وسارها الركبان وطارها الأفواه، ولعل ذلك كان من دأبه كلما اشتد به الجوع و لم يجد شيئا من الطعام والشراب و لم يجد له غير الخشب الجاف أو الحصى عاملا في ذلك بما يحكي عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أو ما يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته البررة الكرام أنهم شدوا الأحجار على بطونهم يوم الخندق لأن الحرب طالت وامتد الحصار وقل الطعام فلجأوا إلى هذه الحيلة التي تسد ألم الجوع

وذلـــك معروف يروي في كتب السيرة والتاريخ! وبها عمل الشيخ فريد لكي يستعين بذلك على جوعه وفقره!

وللناس في هذا التلقيب أو التسمية أقوال وآراء وحكايات يطول ذكرها وسردها ويصعب الاستيعاب بها ويضيق بها المكان،فمنها ما يحكى عـــن أم فـــريد الصالحة الحنون أنها أرادت أن يصلى ابنها البار الصلوات الخمـــس في أوقاتها و يواظب عليها و يعض عليها بالنواجذ، وكان فريد الولـــد الصغير يحب السكر والحلوى فقالت له أمه وهى تنصح له وتأمره بالمداومـــة للصـــلوات الخمس والمواظبة عليها:" إنك لوصليت الصلوة في وقـــتها لوجـــدت السكر تحت سجادتك" ثم أخذت تدس السكر تحت السجادة قبل كل صلوة ولكنها نسيت يوما أن تقوم بعملها المعتاد، ودخل وقـــت الصلوة و سارع فريد الولد الصغير إلى صلاته لكى ينتهى منها ثم يعـــثر عـــلى الســـكر تحت سجادته كالمعتاد فإذا به ينهى الصلاة و يرفع السجادة فيجد تحتها السكر و لم تكن أمه قد وضعته و خافت أن الطفل إذا لم يجـــد السكر في مكانه كالمعتاد فقد يظن بربه الظنون، ولكنها دخلت عـــلى ابـــنها فـــإذا به قد وجد السكر وبدأ يأكله كالمعتاد فأعجبت الأم الصـــالحة بالحدث الجلل وتأكدت أن ذلك من كرامة ابنها الصالح الذي ســـيكون له نبأ في المستقبل من الأيام، منذ ذلك الوقت لقبه الناس بمعدن السكر فتناقلته الأجيال على ألسنتها!

ومنها ما حكاه البعض أن الشيخ قد مربه جمَّال يحمل السكر على جملـــه فســـأله الشيخ فريد الدين مسعود عماذا كان على الجمل فخشى

الجمـــال أن يسأل منه الفقير المعدم قليلا من السكر فقال" هذا ملح أيها الفقـــير!" فقـــال فـــريد:" طيب! إنه سيكون ملحا! فبارك الله لك فيه!" واكتشف الجمال أن السكر قد استحال إلى الملح فندم على ما كذب وظن أن ذلـــك مـــن دعائه عليه فعاد إليه و اعتذر فقال له الشيخ لا تحزن فإنه ســـيكون سكرا باذن الله فعاد الجمال فوجد الملح قد استحال إلى السكر وقـــد نظم الحكاية بعض الشعراء،و هو الأمير محمد بيرم خان الملقب بخان خانان أى سيد الخانات،من أتباعه، بالفارسية فقال:

كان نمك جهان شكر شيخ بحروبـــر

آن كز شكر نمك كند واز نمك شكر

" أي أن الشـــيخ فريد الدين مسعود هو معدن الملح و دنيا السكر و شيخ البحر و البر! ذلك الذي يجعل من السكر ملحا ومن الملح سكراً! " فالمهم أن الشـــيخ فـــريد الدين مسعود ، رحمه الله ، لايزال الناس يدعونه بمعدن السكر في شبه القارة كلها!

وكذلك فإن الكثيرين من المؤلفين الذين ترجموا للشيخ فريد الدين و ذكروه في مؤلفاتهم قد رفعوا نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه و جعلوه من سلالته، و من أغرب الأشياء و أطرفها، أنهم ، في نفس الوقت ، جعلوه من سلالة الملك الناسك الزاهد الصوفي الولي إبراهيم بن أدهم، رحمه الله،! وذلك مايأباه التاريخ وينكره المنطق ومما لا يثبت لدينا ألبتة، وقد فصل فيه القول الأستاذ (محمد آصف خان) وفي ذلك غناء عن المـــزيد وملخصـــه إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق ابنا لعبد الله بن عمر بن

الخطـــاب رضـــي الله عـــنهما يسمي"ناصراً!"وأن إبراهيم بن أدهم الذي حكـــم"بـــلخ" في بلاد ماوراء النهر والذي تنازل عن العرش في حق ابنه واختار الزهد في الدنيا لم يكن قرشيا وإنما كان عجليا من ولد منصور بن يزيد بن جابر العجلي ، وأن الشيخ فريد الدين مسعود لم يكن ابن أخت للملك محمود الغزنوي كما أن أسرة الشيخ لم تحكم كابل و لم يقض على حكمهـــا جنكيز خان المغولي و لم يقتل جد الشيخ، فقد توفي الغزنوي في 1030م بيـــنما ولد الشيخ فريد في 1173م فأني يمكن أن يكون ابن أخت محمود الغزنوي، رحمه الله!!

والشـــيخ رحمـــه الله، قد كان من الشعراء المعمرين وقد اختلفت الأقوال وتضاربت الروايات عن عمره الطويل فقيل إنه عاش 93سنة وقيل 95ســـنة، وهـــو الأصـــح عندنا، ونري الشيخ يشكو آلام الحياة الطويلة وتكالـــيفها الثقيلة وأعباء الشيخوخة وأسقامها على دأب الشعراء العُرْب والعجـــم القدامـــي الذين عمروا طويلا، فلما أتعبتهم العوادي والأسقام تضـــايقوا بهـــا وتـــبرموا منها فانبروا يشكون الهرم والشيخوخة وعناءها ومشقتها فمنهم الشاعر العربي الصحابي، من شعراء المعلقات السبع، سيدنا لبيد بن ربيعة العامري رضى الله عنه، وهو الذي يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ومن قول هذا الناس كيف لبيد؟!

وبـــدأ الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، يتعلم العلم ويتدرج فيه ويمر بمـــراحله المختلفة فقرأ القرآن الكريم، وهو طفل صغير، على أمه الصالحة الحـــنون ثم قرأ الكتب المدرسية الابتدائية على والده الفاضل ثم خرج في

سبيل العلم متجها نحو ملتان العريقة وهو لا يزال صبيا مراهقا فاشتغل على أبـــرز علمائها طالبا قارئا هناك وكانت من أهم المراكز الثقافية في وقتها فاســـتفاد مـــن علمائها الأفاضل و أساتيذها الكبار ولا سيما من الشيخ مـــنهاج الديـــن الترمذي الذي استفاد منه كثيرا و أخذ عنه علما غزيرا، وبالصدفة الطيبة أدرك بها شيخ المشائخ العالم المتصوف قطب الدين بختيار الكاكي أو الكعكي الأوشي ثم الدهلوي، رحمه الله ، و ذلك في سنة أربع و ثمـــانين و خمسمائة من الهجرة، على مارواه اللكنوي في نزهة الخواطر، فـــبايعه الشيخ فريد الدين مسعود وأراد أن يرافقه إلى دهلي و يصاحبه في الظعـــن و الإقامـــة إلا أن الكعكي لم يسمح له بذلك و أمره أن يكمل دراســـاته المتداولة أولا فامتثل الطالب الشاب بأمر شيخ طريقته و قرر في نفسه أن يخرج إلى العواصم الثقافية الإسلامية في وقته فرحل إلى قندهار و مكـــث بها خمس سنوات يدرس و يستفيد من علمائها ثم نراه يعتزم على الأســـفار الطويلة البعيدة إلى البلاد الإسلامية الواسعة و السير في الأرض عـــاملا بقـــول الله عزوجل:"قل سيروا في الأرض" ليشاهد المعالم والآثار فيتعظ بها و يجمع الحكم إلى العبر، ويقابل رجال العلم و المعرفة والتصوف و الطـــريقة ليتمتع برؤيتهم والحديث إليهم والاستفادة منهم ، وفي خلال أســـفاره هذه الطويلة قد أدرك العديد من أعلام التصوف العظام و أولياء الله الكـــرام، و مـــنهم الشيخ الكبير والولي الشهير شهاب الدين عمر بن محمـــد الســـهروردي والشيخ سيف الدين الباخرزي والشيخ سعد الدين الحمـــوي والشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني وغيرهم الكثيرون من المشائخ

الصـــوفية وأصـــحاب الطـــرق المشهورة ، رحمهم الله، على ما صرح به اللكنوي وغيره.

و أخيرا، وليس آخرا، قد لجأ الشيخ الفريد إلى جناب شيخه الولي قطب الدين بختيار الكاكى أو الكعكي بعاصمة دهلي حيث وجد بغيته و اســـتراح إلى رؤيته واستقر بكنفه فاشتغل بالعبادات والأوراد وذكر الله ، وهنا فاض طبعه الفياض بالشعر العربي و الفارسي فاشتهر وذاع صيته كما ظهـــرت مـــنه الخوارق والكرامات الصوفية والتصرفات العجيبة مما جعل الـــناس يقبلون عليه ويز عجونه فتضايق بهم و استأذن شيخه للسفر، فمن شعره الفارسي ينصح الصوفية ويوصيهم بالابتعاد عن الملوك والحكام:

كر وصال شاه مي داري طمع ازوصال خويشتن مهجور باش

أي أنك إذا كنت تطمع في اللقاء بالملوك والحكام وحرصت على مالديهم من العز و الجاه والسلطة والأموال فتأكد بأنك سوف تفقد نفسك وتحرم من الوصال بحبيبك الكريم واللقاء بربك الجليل و التشرف بحبه وغفرانه!"

ومن ذلك قوله في العبرات التي يسكبها المحب المهجور وراء حبيبه الظـــاعن وهـــو يمشي مفارقا إياه، فيكاد يمسكه بكمه ليمنعه من الفراق والابتعاد عنه قائلا:

دو شينه شبم دل حزينم بكرفت و أنديشه يـــار نازنينم بكرفت

كفتم بسروديده روم بردر تـــــو أشكم بدويد و آستينم بكرفت

" قد كنت حزين القلب بالبارحة حيث غلبت على لبى و فكرتي ذكـــريات عـــن حبيب جميل فأخذتني بمجامع قلبي فقررت في نفسي أيها

الحبيـــب أن آتـــى إلى بابك ما شيا بالرأس والعين إلا أن دموعي سبقتني فسارعت وراءك لتأخذك بكمك أو ذراعك !!"

وعـــندما أشتد إقبال الناس عليه وتضايق بهم وبما يريدون منه من مطالـــب الدنيا و يطلبون إليه الحوائج الدنيئة، استأذن شيخه الكعكي في مغادرة العاصمة والتحول منها إلى مكان مجهول بعيد عنها فأذن له الشيخ بالسفر فخرج إلى مدينة (هانسي) العسكرية فأقام بها اثنتى عشرة سنة وقد تحدث اللكنوي عن إقامته بها فقال: " ثم رحل إلى مدينة هانسي وأقام بها اثـــنتي عشرة سنة و اشتغل بالرياضة الشديدة والمجاهدة القوية فظهرت منه الخوارق و الكرامات والتصرفات العجيبة وتقاطر عليه الناس".

وكـــان يقضـــى جل وقته بهذه المدينة بمسجدها الجامع في تلاوة القرآن الكريم والعبادات وذكر الله عزوجل، وفي هذه المدينة نفسها قدتَمَّ اتصاله بخطيب جامعها الشيخ جمال الدين الهانسوي الذي بايعه وصارمن أتباعة المخلصين، وجمع الحب في الله بينهما، والشيخ جمال الدين هذا ، هو من أبرز خلفائه و أخلص أحبائه.

وحـــدث به في مدينة هانسي ما كان قد حدث به وهو في مدينة دهـــلي العاصمة حيث اشتهر بزهده وكراماته مما جعل عامة الناس يقبلون عليه ويزعجونه صباح مساء فاعتزم على مغادرة المدينة وقرر في نفسه أن يعود إلى مسقط رأسه قرية كوثي وال المعروفة على مقربة من مدينة ملتان التاريخية ولكنه لم يمكث بها طويلا لأن الناس أثقلوا عليه وأزعجوه فتضايق بهم وهرب منهم متجها نحو لاهور حتى وصل إلى مكان بين ملتان ولاهور

كـــان يســـمي (أجودهن) فقرر أن ينـــزل بظهر القرية ليدعو أهلها إلى الإســـلام واخـــتار أجمة من أشجار (الكرير) فلجأ إلى أكبر شجرة منها فجلس في ظلها وأخذ يعيش على ثمرها وقشرها وورقها ويعبد ربه ويشكر نعمـــته، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال وأخذ الناس يأتون إليه من كل ناحية وصوب و يعتنقون الإسلام ويبايعون الشيخ الذي بني لنفسه حجرة مـــن الآجر والطين ليعبد الله فيها مع أتباعه، وهنا تزوج الشيخ من ثلاث زوجات فرزق منهن بالأولاد، وقد عرف ذلك المكان فيما بعد بمدينة (باك بتن) أي المورد الطاهر، وبها مدفنه وضريحه.

وقد ترجم له صاحب أخبار الأخيار فقال ما معناه:

"هـــو فريد الحق والأمة والدين الشيخ فريد الدين مسعود خليفة الشـــيخ الصـــوفي قطب الدين بختيار(الكاكي الدهلوي)،رحمه الله، وممن اســـتفاد مـــن ولي الهند وسلطانها الروحي الشيخ معين الحق والدين (أي الشـــيخ معين الدين الجشتي الأجميري)،رحمه الله، والذي أفاد عليه بالكثير من الزهد والمعرفة وهو الذي قال فيه وقدرآه عند الشيخ الكاكي:"إنك يا بختـــيار قـــد قبضـــت على صقر مكانه فوق سدرة المنتهى أي هو صقر التصـــوف والـــزهد والفقر، وقد كان الشيخ فريد هذا من أعيان الأولياء وكبار المتصوفين وكان غاية في الرياضة الصوفية والمجاهدة والفقر والزهد، كما أنه كان آية في الكشوف الروحية والكرامات الصوفية، وكان علامة من علامات الحب لله عزوجل ورمزا من رموز العشق الصوفي، وقد امتاز بذوق الرياضة والعبادة والتقشف وكان يحاول دائما أن يعيش مختفيا بعيدا

عن أنظار الخلق ومن ثم ظل يتنقل من مكان إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى وأخيرا ألقى عصا الترحال والتسيار في مكان مجهول بعيد عن الناس يسمي"أجودهن"(ومن ثم عرف الشيخ فريد بالأجودهني)، وكان في البداية عبارة عن قرية صغيرة نائية وكان أهلها جفاة أجلافا يرون الظاهر ولا يحفلون بالباطن وكانوا يبغضون الدراويش والأولياء، فقال الشيخ وهو ينزل بالمكان: "هذا مكان حري بنزولي به !" فنزل بظاهر القرية وسكن بها حيث لم يكن بها أحد يعرفه ولا يسأل عنه شيئا، وكان منزله تحت شجرة الكرير ذات أشواك مؤذية وثمرات حامضة فهناك كان الشيخ يشتغل بذكر الله وعبادته والتفكير في آياته الكونية، وكثيرا ما كان يشتغل بالذكر والعبادة بالمسجد الجامع، وهناك رزق بالأولاد الذين كانوا يعيشون حياة الفقراء والمعدمين ويكابدون الجوع والفاقة والمحنة والعناء، وبما أن الشيخ كان على أقوى برهان من الدين والحب لله والإخلاص له، فمن ثم لم يستطع أن يختفى عن الناس فظهرت أحواله على الناس فسرعان ما عرفوه وأقبلوا عليه من كل ناحية وصوب!

وقد ذكره اللكنوي في نزهة الخواطر وتحدث عن زهده وكراماته ومكانته في التصوف وعن خلفائه الذين أخذوا عنه الطريقة الصوفية فقال ما نصه: " وكان من أكابر أولياء الله وصاحب تصرفات عجيبة وجذب قوى، له في أحوال الباطن شأن كبير بين المكاشفين، مشهور في ظهور الآفاق، ومذكور في بطون الأوراق، (وقد) أخذ عنه (التصوف) خلق كثير منهم الشيخ الإمام المجاهد نظام الدين محمد (أولياء) البدايوني والشيخ علاء

الدين على الصابر الكليريّ والشيخ جمال الدين الخطيب الهانسوي والشيخ بدر الدين إسحاق الدهلوي!"

ومن أطرف ما يحكى عنه كما جاء في نزهة الخواطر بأنه كان قد بعث إلى السلطان غياث الدين بلبنْ (من ملوك دهلي وسلاطينها المماليك) كتابا يشفع فيه لرجل فكتب له: "رفعت قصته إلى الله ثم إليك فإن أعطيته فالمعطى هو الله وأنت المشكور، وإن لم تعطه شيئا فالمانع هو الله وأنت المعذور!"

ويروي أنه كان يلبس الملابس البالية المرقعة فجاء له رجل بملابس له جديدة فلبسها فلم يلبث أن خلعها وأعطاها للشيخ نجيب المتوكل من أتباعه وأقاربه قائلا له: "كنت أشعر براحة في ملابسي هذه البالية مما أشعر بها فيها!!"

وقد روى الشيخ المحدث الدهلوي، رحمه الله، أن الشيخ فريد الدين مسعود كان يكثر من الصوم النفلي وكثيرا ما كان يفطر على كأس من المشروب فكانوا يأتون بها للشيخ فكان يقسم النصف منها على من حضر عنده من الأصحاب والأتباع فلم يكن يبقى له منها إلا ثلثها وكان يشرك معه في هذا الثلث من حضر لديه مؤخرا ثم يأتون له بخبزين فلم يكن يأخذ منهما إلا قليلا وكان يوزع ما تبقي منهما على من حضر عنده ثم لم يكن يأكل شيئا إلا عند الإفطار من اليوم المقبل، وكان عليه دثار من الصوف يقضى فيه النهار فإذا أظله الليل جعل من الدثار مضجعا و لم يكن يغطى جسده كله بل كان إذا غطى به رأسه عريت رجلاه!

وقد امتاز الشيخ وانفرد بكثرة الذكر لهادم اللذات وقلة الطعام مع قلـة الكـلام، وبالغ في الزهد والتقشف والرغبة عن الدنيا وما فيها من الزخارف و اللذائذ والألوان، وكان يكثر من العبادة والذكر والقيام ليلا والصوم نهارا منذ الطفولة إلى الكهولة وحتى آخر أنفاسه، وكان يأتيه كثير مـن الضيوف والمسافرين والفقراء والمساكين فيطعمهم ويسقيهم ما تيسر لديـه من الأكل والشرب والذي كان يأتيه غزيرا من قبل أتباعه الأغنياء ومريديه المؤسرين في أكثر الأحيان ويسهر على خدمتهم ويفضل راحتهم عـلى راحـته وكان إذا أتاه أحد من الأتباع والمريدين فأراد منه البركة والدعـاء له أو الـتعاويذ والرقى أوصاه بالمواظبة على العبادة وذكر الله وتلاوة القرآن الكريم، أو دله على آية كريمة يتلوها في الأوقات المحددة أو دله على أدعية مأثورة عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ويـروى أن الشـيخ فريد قد مكث بدهلى العاصمة عند شيخه القطـب الكاكي أو الكعكي مدة من الزمان فإذا أراد أن يغادر العاصمة ويودع شيخه الذي كان في حلقة من أصحابه وأتباعه، اعلن الكعكى على رؤس الأشهاد بأنه قد اختار فريدا يخلفه على طريقته الصوفية و ينوب عنه لـلهداية والإرشـاد وأوصاه أن يأتي إلى العاصمة بعد وفاته ويتولى مسند الإرشـاد من بعده وأنه سوف يجد عصاه ونعليه وخرقته الصوفية الروحية أمانـة عند القاضى حميد الدين الناجورى، أحد أتباعه، وأما الشيخ فريد الديـن مسـعود فقد تبع شيخه القطب الكاكى وحذا حذوه حذو النعل بالـنعل فـأعلن إذ أحس بقرب الأجل في جمع من الأصحاب والأتباع

والمريدين، فقال: إن الذي سينوب عني وقد اخترته خليفة من بعدى، هو الشيخ نظام الدين المعروف بالأولياء الذي كان عالما كبيرا وأذكى الأذكياء في وقـــته وكان الناس يرون فيه موهبة القيادة والحكم لو مال إلى الدنيا، ولكنه آثر الآخرة على الدنيا ورافق الزهاد والمتصوفة واختص بالشيخ فريد الدين مسعود الذى آثره على أولاده فأوصى له بالخلافة من بعده، ونظام الديـــن الدهلوي هذا قد عرف بلقب "الأولياء" ومن أتباعه الشيخ نصير الدين الدهلوي الذي لقبه الناس "بمصباح دهلي"، والشاعر الفارسي الكبير والأديب العلامة والموسيقار الشهير أمير خسرو الدهلوي.

وقـــد توفى الشيخ فريد الدين مسعود الأجودهني في الخامس من المحـــرم سنة 664هـــ (السابع عشر من أكتوبر سنة 1265م) وله من العمر 95 ســـنة على ما رواه الكرماني في سيرالأولياء ومنه أخذه الشيخ المحدث الدهلـــوي في أخـــبار الأخيار وعنه اللكنوي في نزهة الخواطر، وقد رثاه الشاعر الفارسي أمير خسرو الدهلوي وضبط تأريخ وفاته في شعره، ولكنه على خلاف ما ذكرناه والذي صح عندنا.

وقد سجل خليفته نظام الدين أولياء الدهلوي بخط يده من بعض أقوالـــه الجميلة وحكمه الرائعة المفيدة فقد قال الشيخ فريد، على ما رواه خليفـــته نظام الدين: "أربعة أشياء قد سئل عنها سبع مئة شيخ من شيوخ الطـــرق الصوفية وكان جواب الكل واحد وهي: من أعقل الناس؟ تارك الذنب! ومن أكيس الناس؟ الذي لا يغتر بشيئ! ومن أغني الناس؟ القانع؟ ومن أفقر الناس؟ تارك القناعة!"

- ومن أقواله الحكيمة بالعربية أيضا:
- إن الله يستحيي من العبد أن يرفع إليه يديه ويردهما خائبتين!
- إذا كان فلا حزن وإن لم يكن فلا حزن! (ترجمة من الفارسية).
- جذبة من جذبات الحق خير من عبادة الثقلين.
- الصوفي يصفو به كل شئ ولا يكدره شئ.
- لو أردتم بلوغ درجة الكبار فعليكم بعدم الالتفات إلى أبناء الملوك!
- وكان يكثر من رواية قوله عليه الصلاة والسلام: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس !
- وكان يروى قول شيخ الإسلام جلال الدين الرومي الذي قال: الكلام سكر القلوب، فزن أول الكلام وآخره، إن كان لله فتكلم وإلا فاسكت!
- يوم الحرمان ليلة المعراج للصوفية!
- لا توصوا بأمر مهم إلى الرجال المهملين (ترجمة من الفارسية).
- إذا لبس الصوفي ملبسا فعليه أن يعتقد بأنه يلبس كفنه (ترجمة من الفارسية)
- الآفة في التدبير والسلامة في التسليم.

- العلماء أشرف الناس والفقراء أشرف الأشراف.
- الفقير بين العلماء كالبدر بين كواكب السماء.
- أرذل الناس من اشتغل بالأكل واللباس.

فهـــذه هى أقوال الشيخ فريد بالعربية (وقد ترجمنا ثلاثة منها من الفارسية إلى العربية وهى التي صرحنا بها في نهايتها بين القوسين)والغرض مـــن سردها وتسجيلها هنا إنما هو إعلام القارئ العربي بما كان يقدر عليه الشيخ ويملكه من الكفاءة باللغة العربية، وذلك يدل على صحة ما يروى عن الشيخ أنه قال الشعر بالعربية والفارسية والأردية بالإضافة إلى ما أبدع بالبنجابية من روائع الشعر، إلا أننا لم نعثر على شئ من شعره العربي وقد وصـــل إليـــنا القليل من شعره الفارسي كما يروى له الشعر الأردى أو الهندوى ومن ذالك ما رواه بعض المؤلفين في كتب التاريخ للشعر الأردي.

ومما يدل على أن الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، كان على مكانة من المعرفة باللغة العربية وعلومها و دابها هو أن تلاميذه المختصين به أو أتـــباعه وخلفاءه قد كانوا من علماء اللغة العربية وأدبائها وكانوا على مكانة فيها، ولهم مؤلفات بالعربية وقد اعترف الناس بفضلهم ومكانتهم في العربـــية وعلومهـــا، فمـــنهم الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد النعماني الهانســـوي الخطيب الذي ينتمى إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، رحمه الله، وقد عرف الشيخ الجمال الهانسوي هذا واشتهر بصـــفته خطيبا بالمسجد الجامع لمدينة هانسي العسكرية وكان الشيخ فريد الدين مسعود قد نزل بهذه المدينة فمكث بها اثنتي عشرة سنة وقد طالت

إقامته بها لأنه أحب مريده الشيخ الجمال الهانسوي حبا جما وكان الشيخ يقول: " الشيخ الجمال إنما هو جمالنا!" وقد صرح به الفريد لمريده الحبيب هذا غير مرة قائلا": يا جمال! إنني لأود أن أهيم حول رأسك ليل نهار أي أحب أن لا يغيب رأسك ووجهك عن نواظرى وعيوني!" وكان الشيخ الجمال هو الآخر يحب شيخه الفريد وكان معجبا به وبعلمه وزهده وكان يتبعه في حياته الروحية ويحذو حذوه حذو النعل بالنعل في الفقر والزهد في الدنيا والإنهماك في العبادات والأذكار والأوراد حتى أن الشيخ فريد كلما سمع بفقره وزهده وترفعه عن زخارف الدنياومتاعها وأنه يكابد الجوع ويعاني من الفقر ويفضل حياته تلك على متعة الحياة وراحتها، فرح به كثيرا ودعا له بالتوفيق والنجاح فى طريقه الصوفي، وكان الفريد يثق به للغاية ويكرمه كثيرا حتى أن الفريد لم يجز بالخلافة، وهو بمدينة هانسي، لأحد من الناس إلا إذا وافق به الشيخ الجمال، وكان يقول الشيخ الفريد: "إن الذي رفضه الجمال لن يقبله الفريد ولن يجيز له بالخلافة أبدا"، وكان الشيخ الجمال يجيد اللغات الثلاث، العربية والفارسية واللغة المحلية ، التي كان يخطب بها في المسجد الجامع وهى الهندوية أو الأردية! وله شعر بها ومؤلفات وله رسالة في التصوف بالعربية المسجعة يقول في فصل من فصولها وهو يتحدث عن الفقر:

"الفقر خلق شريف يتولد منه الصلاح والعفة والزهد والورع والتقوى والطاعة والعبادة والجوع والفاقة والمسكنة والقناعة والمروة والفتوة والديانة والصيانة والأمانة والسهر والتهجد والخضوع والخشوع والتذلل

والتواضـــع والـــتحمل والكظم والعفو والإغماض والإشفاق والإنفاق، والإشـــارة والطعام والإكرام والإحسان والإعراض والإخلاص والانقطاع والانفصـــال والصـــدق والصبر والسكوت والحلم والرضا والحياء والبذل والجـــود والسخاوة والخشية والخوف والرجاء والرياضة والمجاهدة والمراقبة والموافقة والمرافقة والمداومة والمعالمة والتوحيد والتهذيب والتحرير والتفريد والوقـــار والمـــداراة والمواساة والعناية والرعاية والشفقة واللطف والكرم والـــتعقد والشكر والفكر والذكر والأدب والاعتصام والاحترام والطلب والرغبة والغيرة والعبرة والبصيرة واليقظة والحكمة والحسبة والهمة والمعرفة والحقـــيقة والخدمـــة والتسليم والتفويض والتوكل والتبتل واليقين والثقة والفـــناء والاستقامة وحسن الخلق، وكل فقير وجدت فيه هذه الصفات، سمى فقيرا كاملا، وإذا فقدت، لم يسم فقيراً"

وهـــذا ليس رصيدا لغويا محضا أو سرد المفردات اللغوية فحسب وإنمـــا هـــى مصطلحات صوفية تدل على الأحوال والمراحل في السلوك الصوفي وتعبر كل كلمة منها عن حالة أو مقام أو مرحلة أو منـــزلة عند المتصـــوفين، وقد استقصاها الشيخ الجمال أحسن استقصاء و أجملها أجمل إجمـــال في رسالته القصيرة هذه لكى تدل على براعته وبراعة أصحابه من سلسلة أتباع الشيخ الفريد وتلاميذه في مجال العربية وآدابها واهتمامهم بها فـــيما كانوا يتحدثون به في حلقاتهم الصوفية ومجالسهم العلمية وندواتهم الأدبية والثقافية في وقتهم!

ومـــن أهم الملامح عن حياة الشيخ وسيرته والميزات التي امتاز بها شعره بين شعر صوفية الهند في عصره وفيما بعده من العصور أنه كان:

1. يـــزهد في الدنيا ويبالغ في كرهه لها ونفوره منها وكان يرغب رغبة ملحة فيما عند الله من نضرة النعيم في الآخرة ولقائه يـــوم الجزاء، وفوق ذلك كله أنه كان يحب لقاء الله ويبحث عن وجهه الكريم بحث العاشق الولهان عن حبيبه، وكان يأمل ويؤمن بالـــنظر إلى وجهه الكريم ورؤيته التي سوف يرزق بها أولياء الله المتقون وعباده المقربون إليه، حيث وعدهم بها فقال: "وجوه يؤمئذ ناضـــرة إلى ربهـــا ناظـــرة (القـــيامة 22-23). وهؤلاء هم عباده الصـــادقون المخلصون قد أحبوا الله فأحبهم وبلغوا الغاية في ذلك فـــنالوا كرامة عند الله فإذا نادوه سمع نداءهم وإذا دعوه استجاب دعـــاءهم وعن هؤلاء يقول سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث القدســـي عـــن الرسول المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي يقول: "من آذى لى وليا فقد استحل محاربتي!" وهم الأبرار الذين لو أقسموا على الله لأبرهم في قسمهم، وعنهم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك رضى الله عنه!"

والزهد في الدنيا من سنة الأنبياء، ولا سيما سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي يقول: "من زهد في الدنيا علمه الله تعالى بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى" (رواه في كنـــز العمال 3:6149).

و كما كان يعمل بسنة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الكريم الذي كان من أزهد الناس وأكثرهم حبا للفقر الغيور وكان يقول: " إن أخـــوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة! ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ألا و إن الآخـــرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون! فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل!"

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بالزهد في الدنـــيا ليكون من أهل الآخرة، وأخبره بما يترتب على ذلك من النتائج فقال: "ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك" (رواه ابن ماجة).

وهذه هي أم المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله عنها، تخبرنا عن الظـــروف الـــتي مرت بها الأسرة النبوية الكريمة من الفقر والفاقة وتحمل الشدائد في سبيل الله من أجل الآخرة، فتقول: "ما شبع آل محمد منذ قدم المديـــنة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض!" وقد سألها ابن أختها عـــروة بن الزبير عن عيش الأسرة النبوية الشريفة بعد الهجرة فقالت: "إننا كـــنا نعـــيش على الأسودين التمر والماء!"، وقد سئلت عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد أن صار مؤسس دولة إسلامية و رئيسها الأول، وأخـــذت الغنائم تأتيه صباح مساء ولكنه كان ينتهى من تقسيمها وتوزيعهـــا عـــلى مـــن يستحقها من أهل المدينة من الفقراء والمساكين

والمحـــتاجين قبل أن ينام، فقالت: "ما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــط غـــداء لعشـــاء ولا عشاء قط لغداء، ولا اتخذ من شئ زوجين، لا قميصين ولاردائين ولا إزارين، ولا من النعال، ولا رئ قط فارغا في بيته إما يخصف نعلا لرجل مسكين أو يخيط ثوبا لأرملة!"

وما دامت هذه هى تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتوصياته لأمته وسنته الطيبة، وما دامت هذه هى الحياة العملية التى عاشها بين أهله وأمـــته فأنى لهؤلاء الصوفية الاتقياء والأولياء المقربين أن يقبلوا حياة البذخ والإســـراف أو يرضـــوا بها وهم يتبعون سنته صلى الله عليه وسلم فيما يقولـــون أو يفعلـــون ولا ينحرفون عنها قيد شعرة مهما كانت الظروف والأحـــوال ومهمـــا كانـــت الفتن والجواذب والمغريات من نعم الدنيا وزخارفهـــا! وكذلك كان الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، الواعظ الشـــاعر والداعية المتصوف وقد ظلمه الناس الذين قالوا عنه وادعوا بأنه كان يبالغ في الكف عن الطعام ويغلو في حبه لحياة الفقر والفاقة والجوع! إنـــه لم يبالغ و لم يغلو في شئ أبدا وإنما كان صوفيا عاملا متشرعا متدينا يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إنه قد زهد في الدنيا ونعيمها وزخارفها لأنه فضل عليها حياة الآخرة ونعيمها الذي لا يفنى ولا ينفد، وإنما هو باق لن يزول، ولأن القرآن الكريم يقول لكل نفس مؤمنة تحب الله ورضاه وتحب الجنة ونعيمها:

"واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلنه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الريح، وكان الله على كل شيءٍ مقتدرا. المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والبقيت الصّلحت خير عند ربك ثوابا وخير أملا!" (سورة الكهف 45-46).

3. ونرى الشيخ، رحمه الله، يكثر في شعره من ذكر الموت وهول القبر وذلك أيضا لا يخالف الشريعة الإسلامية كما يراه البعض وإنما هو يوافقها تمام الموافقة لما ثبت من القرآن والسنة أن نزع الروح وسكرة الموت لحظة عصيبة على المرء كما أن هول القبر وعذابه شديد مخيف، ومن دأب الواعظين الذاكرين أنهم يذكرون المؤمنين بهاتين المرحلتين من مراحل السفر الإنساني ويعظونهم بالاستعداد لهما، والإنسان بطبيعته يهاب الموت ويخاف القبر ولا يزال تحيد منهما وهو حي، وقد تحدي الكتاب العزيز اليهود الذين كانوا يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الدار الآخرة لهم من دون الناس، أن يتمنوا الموت لأنه يوصلهم إلى الله ويقربهم منه، ولكنهم لا يتمنونه ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم، وأما الإنسان المؤمن الصالح الذي استعد لهاتين المرحلتين فإنه لا يخافهما بل يرحب بهما ويسارع إليهما لأن الموت يقربه من الله وينهى حياة البلاء والمحنة في الدنيا فهو يلقاه باسما راضيا، فهذا هو سيدنا أبو ذر الغفارى رضى الله عنه يتحدث عن الدنيا الفانية وعن الإنسان الغافل من الموت والقبر فيقول: "يولدون للموت ويعمرون للخراب

ويحرصـــون على ما يفنى ويتركون ما يبقى، ألا حبذا المكروهان الموت والفقر!"

(4) ويحكـــى عنه أيضاً أنه كان يفضل الوحدة والخلوة كما أنه كان يعرض عن الناس ويبتعد عنهم فأما الوحدة أو الخلوة فمما يحتاج إلـــيه الصوفي الزاهد العابد ليجد فرصة العبادة ويذكر خلالها ربه دون الإزعاج والإحراج، وأما الإعراض عن الناس والابتعاد عنهم فذلـــك مما لم يثبت عنه في شعره وما جاء أنه كان يتحاشى الناس ويهـــرب عـــنهم فقد كان ذلك لأن طلاب الدنيا الجهال كانوا يـــلجأون إلـــيه لقضاء الحوائج الدنيوية ويقبلون عليه ليتباركوا به وذلـــك مما لم يجز في الشرع ولم يرض به الشيخ إذ هو متصوف داعـــية كان يدعو الناس إلى دين الله ويعظهم ويوصيهم ويصلح أعمالهم وينصح لهم بالخير والعمل الصالح وكان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد اختار له السكن بين الأحلاف والجفاة من الـــناس الذيـــن لم يعـــرفوا الدين وكانوا يكرهون الدعاة إلى الله والوعاظ بالخير والعمل الصالح وقد أسلم الكثيرون منهم على يديه ودخلـــوا في ديـــن الله وأحبوا الشيخ حتى استحال ذلك المكان الوحشـــى إلى مدينة من الأنس والحب وسمى بالمورد الطاهر وبه مدفن الشيخ وضريحه اليوم كما مربنا!

والشـــيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، ليس رائد الشعر البنجابي والشعر الصوفي في شبه القارة فحسب وإنما هو أول من قال الشعر بالأردية

والهـــندية أو الهندوية بالإضافة إلى قرض الشعر باللغتين العظيمتين العربية والفارســـية، فهو، إذن، شاعر متعدد اللغى، إذا صح هذا التعبير، وبذلك تتضـــح وتتجلى المكانة الأدبية والثقافية التي يحتلها الشيخ في تاريخ آدابنا والصـــوفية الجشـــتية في البلاد، ومن ثم قد عرف عند أهل طريقته بشيخ الإسلام وشيخ الشيوخ وإمام الأئمة، فقد حظى العديد من خلفائه بالإمامة الصـــوفية كالشيخ نظام الدين أولياء في عاصمة الهند دهلى والشيخ على صـــابر في كلير والشيخ جمال الدين في هانسي والشيخ بدر الدين إسحاق في بنجاب وغيرهم كثيرون.

وقد عرف عدد لا بأس به من الشعراء في العصر الغزنوي "بشعراء ذوى اللسانين أي العربية والفارسية" فقد كانوا يجيدون اللغتين ويتقنونهما فيقرضـــون الشـــعر بهما وذلك حين بدأت العربية تتخلف بأسباب ومنها ضـــعف القـــوة السياســـية التي كانت تساندها وتدافع عنها ومنها ذلك الأســـلوب المقامـــاتي المتكلف العقيم من السجع والقافية الذي ثقل على الألسنة ونفروا منه فأخذت الفارسية الفتية الناهضة تحل محل العربية، ليس في الديـــوان الملكي والمكاتب الرسمية فحسب بل في مجال الثقافة والأدب أيضـــا، و لم تعـــد للعربية مكانة غير المكانة الدينية بحكم القرآن والحديث النـــبوي فقد ظلت ولا تزال لغة الدين والعقيدة حتى يومنا هذا! وقد نشأ عدد غير قليل من الشعراء ذوى اللسانين في العصر الغزنوي وعندما دخل المســـلمون، عربا وأتراكا ومغولا إلى شبه القارة، لم يفرضوا أو قل إنهم لم يـــريدوا أن يفرضوا العربية أو الفارسية على المواطنين وإنما فضلوا التفاهم

والتخاطب معهم في لغاتهم المحلية وقد أطلق المسلمون على كل لغة محلية اسم اللسان الهندي أو الهندوي فكان العلماء والأدباء والشعراء والدعاة يتحدثون أو قل أخذوا يحاولون أن يتحدثوا إلى المواطنين بلغاتهم المحلية ويستخدمون في حديثهم كثيرا من المفردات العربية وقليلا من المفردات الفارسية كما أن الشعراء بدأوا يقولون الشعر بالعربية والفارسية واللغة المحلية التي أطلقوا عليها اسم اللغة الهندوية في البداية والهندية في النهاية والأردية أخيرا، وعرفوا بشعراء اللغات الثلاث، ومنهم أبوالعلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي اللاهوري ومسعود سعد سلمان اللاهوري وأبو الفرج الروني اللاهوري في العصر الغزنوي، والأمير خسرو الدهلوي في عصر السلاطين، ولبعضهم دواوين شعرية بهذه اللغات الثلاث، وأما الشيخ فريد الدين مسعود فهو ليس شاعر اللغات الثلاث فحسب بل هو شاعر كثير اللغي، فقد قيل إنه قال الشعر بالعربية والفارسية والهندية والأردية (والفرق بين الأردية والهندية أنه إذا كثرت المفردات العربية والفارسية فهو شعر أردي وأما إذا كثرت المفردات السنسكريتية فهو كلام هندي!!).

ولم نعثر على شعر الشيخ العربي والذي ينسب إليه هو ليس له وإنما جري على لسانه أو تمثل به الشيخ في حديثه الجاري فظن أتباعه أنه للشيخ فمن ذلك ما يروي لعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه كما في ديوانه والمصادر العربية الأدبية الأخرى وقد ظن الكرماني وغيره للشيخ فريد الدين مسعود :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال

الأقارب كالعقارب في أذاها فلا ترضي بعم ولا بخال

وينسب لعلي كرم الله وجهه كما في ديوانه ونفحة اليمن، وقد جري على لسان الشيخ فظن الناس أنه له:

لـــوكان هذا العلم يدرك بالمني ماكان يبقي في البرية جاهل

فاجهد ولا تكسل ولاتك غافلا فنـــدامة العقبي لمن يتكاسل!

ولقـــد قال بعض الشعراء قصيدة عربية مدح بها شيخه فريد الدين مسعود ومنها هذان البيتان (البسيط):

البدر يطلع من فريد جبينه والشمس تغرب في شقائق خده

تلك الجمال بأسره فكأنما حسن البـــرية كلها من عنـــده

وأما عن شعره الفارسي فإن أصحاب التراجم للشيخ فريد الدين مسعود قد أوردوا له العديد من الرباعيات(أو الدوبيت) والأبيات المفردة ولكـــنهم لم يدلوا على ديوانه الفارسي، وهذه الرباعيات والأبيات المفردة وإن كانت قليلة، ولكنها تدل على أن قائلها شاعر فارسي كبير قادر على الإبداع والابتكار بأسلوب فارسي لبق رزين قد مر صاحبه بمراحل الخبرة والاكتســـاب حتى استطاع أن يأتي بهذه الروائع والبدائع من الفن، ومن ذلـــك قوله في رباعية يتحدث فيها عن حبه لله عزوجل وما يعاني منه في ذلك من الكتمان ويكابد من الألم:

عشق تو مرا أسير وحيران كرده است

درکوئي خرابات بريشان كرده است

بـــاين هـــمه رنج ومحنت أي دوست

اسرار تو در دلم كه بنهان كرده است!

ومعناه: "إن حبك قد استأسرني وأدهشني يا حبيبي حتى كأنني لازلت أهيم في زقاق الحانوت! ولكنني رغم هذا الألم والبلاء يا حبيـــبي! قد أخفيت أسرار حبك في قلبي و لم أسمح لأحد أن يطلع عليها!"

ومن ذلك رباعية أخري يتحدث فيها عمن يدعي الزهد والنسك وخدمـــة الخلق ولكنه، رغم ذلك، لا يمتنع عن الغضب والحقد و الإيذاء وجرح العواطف والمشاعر لخلق الله:

كيـــرم كه بشب نماز بسيار كني

در روز دوائي شخص بيمار كني

تـــادل نكني زغصه وكين خالـــى

صد خرمن كل برسريك خاركني!

ويـــريد أن يقول:"إنني أفترض بأنك تكثر الصلوات والذكر ليلا وأنـــك تقـــوم بعيادة المرضي وخدمتهم ولكنك ما دمت تكن في صدرك غضبا وحقدا وغيظا فكأنك تجرح المئات من الأزهار بشوكة واحدة!"

وـــله شعر أردي مزيج من المفردات الفارسية والمحلية وقد نال به الأولية و الريادة في تاريخ الشعر الأردي، وذلك فضل الله يؤتية من يشاء، فمنه مايأتي من الأبيات التي تعتبر شعرا أرديا بدائيا عند النقاد:

وقـــت سحـــر وقت مناجات هَيْ

خيز دران وقت كـــه بركات هَيْ

نفس مبـــاداكـــه بكويـــد تـــــرا
خسب جه خيزي كه ابهي رات هَيْ
بـــاتن تنهاجـــه روي زير زميـــن
نيك عمل كن كـــه رهي سات هَيْ
بند شكـــر كنج كه بدل جان شنو
ضائع مكـــن كه عمـــر هيهات هَيْ

ومعني الأبيات:" إن وقت السحر هو وقت الدعاء والمناجاة فعليك أن تستيقظ فيها لأنه وقت الإجابة والبركات!

ولعل نفسك الأمارة بالسوء قد يقول لك:نم، لماذا تستيقظ؟ أما تري الليل لا يزال باقيا!

ولمـــا ذا تذهب تحت التراب وحدك؟! عليك بالعمل الصالح الذي سوف يرافقك!

"ولـــو استمعت إلى ما ينصحك به معدن السكر" (أي الشيخ فريد الدين مسعود!) بكل انصات وبكل قلب وروح، فلا تضيع عمرك ووقتك فإنه لا يتكرر ولا يعود أبدا!!"

وأمـــا شـــعره البنجابي فهو كثير غزير يدل على خصوبة الذهن والقـــدرة عـــلى الإبداع والابتكار وولوع الشاعر بفنه وحبه ورغبته في النهوض به، ويبدو أن الشيخ فريد الدين مسعود كان قد بدأ يقرض الشعر بالفارســـية وربما بالعربية أيضا وهو في عاصمة دهلي حيث كانت سوق العـــلم بهاتين اللغتين، أي العربية والفارسية، نافقة وكان الكتاب قد بدأوا

يؤلفـــون بهمـــا كما أن الشعراء كانوا ينظمون الشعر بهما تقليدا للشعراء ذوي اللســـانين في العصر الغزنوي، وكان ذلك مما دعا الشيخ إلى قرض الشعر باللغتين، إذ كان حديث العهد ببلاد ماوراء النهر وعواصمها الثقافية مـــثل غزني وقندهار وهرات وغيرها من المراكز الثقافية التي زارها الشيخ طالبا فعاد إلى زاوية شيخه قطب الدين بختيار الكاكي بالعاصمة فأعجبته الســـوق الـــنافقة بها فبداله أن ينتفع بها فدخلها لكي يبرهن على كفائته الـــنادرة وعبقريته الفذة فأخذ يقرض الشعر بالعربية والفارسية، ولكنه لم يكثر منه وإنما نظم بيتا أو بيتين باللغتين فطار عنه الخبر وعرفه الناس شاعرا متصوفا و وليا تقيا فأقبلوا عليه، فأما شعره العربي فلم يصلنا شئ منه، رغم أن التراجم كلها قد أجمعت على أنه قال الشعر باللغتين العربية والفارسية وهـــو بمدنـــية دهلي العاصمة، وأما شعره بالفارسية فقد مرت بنا الأمثلة الشـــاهدة على ذلك إلا أن إقامته بدهلي العاصمة لم يكن طويلا فقد أقبل الناس عليه وأخذوا يزعجونه صباح مساء فتضايق بهم وأراد أن يخرج من العاصـــمة معتزلا منـــز ويا فاستأذن شيخه بذلك فخرج متجها إلى مدينة (هانسي) العسكرية البعيدة عن العاصمة حيث أقام بها نحو اثنتي عشرة سنة وتعلم اللغة المحلية وهي الهندية أو الهندوية وكان يعظ الناس بها ويدعوهم إلى الإســـلام، وهـــنا أخذ ينظم الشعر باللغة المحلية واللغة الأردية(والفرق بينهما قليل ضئيل يقصر على مقدار المفردات اللغوية كما مربنا آنفا).

وأخـــيرا، وليس آخرا، قرر الشيخ فريد الدين مسعود أن يعود إلى مسقط رأسه ومهجرآبائه في إقليم بنجاب على مقربة من مدنية ملتان وهي

قرية كوثي وال وسرعان ما أقبل عليه الناس فتبرم مما أرادوا منه من حوائج الدنيا الدنئية والتعاويذ والرقي فخرج هاربا متضايقا حتي نزلت به الأقدار بمكـــان قفرناء مجهول على ظهر قرية"أجودهن"التي عرفت وتعرف اليوم (باك بتن) أي المورد الطاهر بين أهلها الجفاة الأجلاف، وهنا أخذا الشيخ يقـــول الشـــعر بالبنجابـــية، ومنه صنع ديوانا ظل يتنقل في أيدي أولاده وأحفاده ويقال إن الكثير من شعره البنجابي قد ضاع و لم يصل إلينا منه إلا ما جمعه البابا (نانك) المعلم مؤسس الديانة السيخية الموحدة ثم ضم شعره هـــذا بعـــض أتـــباع الـــبابا إلى الكتاب المقدس للديانة السيخية والذي يســـمي(كرو كرنث) أي "الكتاب المعلم المقدس" وهو عبارة عن مجموعة الأنـــا شـــيد والأغاني والقطعات والقصائد الشعرية البنجابية للعديد من الشعراء ومنهم الشيخ فريد الدين مسعود والبابا (نانك) كما أن الكثير من الأبيات الشعرية التي جاءت على ألسنة الناس ويضمها كتب التراجم التي ترجمت للشيخ فريد الدين مسعود، وأما عدد الأبيات الشعرية التي يضمها الكتاب المقدس للسيخ فهو مئة و اثني عشر بيتا كما أن عدد الأبيات التي توجد في غيره من كتب التراجم يكاد يتجاوز المئة وهذه الأبيات الشعرية البنجابـــية للشيخ هي كلها أبيات مفردة تقريبا وقلما جاء منها مزدوجة أوكقطعـــة أو قصيدة، وهذا المنوال من الأبيات المفردة قد ابتكره الشيخ فـــريد فهـــو أبو عذرته، وقد ظل من جاء بعده من الشعراء يقلدونه مثل الشـــاعر البـــنجابي (شاه حسين) والشيخ الو لي (سلطان باهو) والشاعر الصوفي (عبد الله شاه) القصوري وغيرهم!

وأمـــا عن االبابا (نانك) مؤسس الديانة السيخية وصلته بالشيخ وشعره فله قصة يجب أن نسمعها ونطلع عليها فقد توفي الشيخ فريد الدين مســـعود إلى جوار رحمة الله وقد أوصي بالخلافة على طريقته الصوفية إلى الشـــيخ الولي نظام الدين أولياء المدفون بعاصمة دهلي، وأما تراثه الثقافي والشـــعري فقـــد أورثه وأوصي به إلى أولاده وأحفاده الذين احتفظوا به عندهم حتى جاء عصر حفيده إبراهيم المعروف بالفريد الثاني الذي التقي بـــه الرحالة الإسلامي الكبير والسائح الشهير ابن بطوطة الطنجى المغربي وهو في طريقه إلى عاصمة دهلي فنـــزل عند الفريد الثاني وتحدث إليه وقد سجل ابن بطوطة انطباعاته عنه في مذكرته وضمها إلى كتابه المعروف عن رحلته المدوية في آفاق الشرق والغرب.

ومجموعة الشعر البنجابي للشيخ فريد الدين مسعود ظلت في أسرته حتى جـــاء الشيخ إبراهيم الفريد الثاني من أهل القرن السادس عشر الميلادي، وكـــان القديـــس (بابا نانك)المتوفي 1538م شاعرا وأديبا للغة البنجابية . وكان مولعا بالشعر الصوفي البنجابي مما جعله يقرر في نفسه أن يقوم بجمع الشعر الصوفي البنجابي والاحتفاظ به فخرج يطوف بلاد اقليم بنجاب وقد تأبط الكراسة وفي يده العصا يهيم ويجول ويسأل عن الشعراء وعن شعرهم على طريقة الأصمعي الذي جمع لغة العرب وأدبهم وهو يهيم في بواديهم وصـــحارا هم (ولعل نانك قد اطلع على طريقة الأصمعي ودأبه وهو في بغـــداد لأن مؤسس الديانة السيخية كان قد زار أرض الحرمين الشريفين ومكـــث بها مدة ثم اتجه إلى العاصمة بغداد فأقام بها سنوات ونزل بمكان

هناك لايزال يعرف باسمه حتى اليوم!) فذلك القديس الموحد كان قد طاف البلاد فزار مدينة (باك بتن) أو المورد الطاهر فقابل إبراهيم الفريد الثاني وحكي له بغيته وطلب إليه أن يزوده بما عنده من شعر جده الشيخ فريد الدين مسعود فأعطي له المجوعة الشعرية فضمها البابا إلى مجموعته ثم ضمها بعض أتباعه إلى" كرو كرانث" فهو المصدر للشعر بالإضافة إلى ماجاء في كتب التاريخ والتراجم وقد قام بتدوين الشعر الكثيرون من أهل العلم وقد طبع ديوان الشيخ وتوجد له طبعات ونسخ كثيرة يتداولها الناس كما أن الديوان قد ترجم إلى العديد من اللغات ومنها الإنجليزية .

والجدير بالذكر أن البابا (نانك) كان ابن تاجر هندوكي يستغل العامة ولا يوفي الكيل والوزن كغيره من التجار الهنادكة مما جعل البابا(نانك) يثور عليهم وهو طفل مراهق كما أنه كره أن يعبد الأصنام وآمن بالرب الواحد وجعل يدرس الإسلام ثم خرج باحثا عن الحق فزار الحرمين الشريفين ثم ذهب إلى بغداد فمكث بها زمانا يدرس أوضاع المجتمع الإسلامي المنحط في وقته ويلتقي بالصوفية المسلمين الأدعياء وعندما عاد إلى الهند أعلن ثورته على المجتمع الطبقي الهندوكي ورجال الديانة الهندوكية من الكهنوت والتجار الهنادكة المستغلين وكاد يعلن إسلامه ولكن المجتمع المسلم الهندي المتخلف المتضعضع حال دونه فبقي مستور الحال يقرأ القرآن ويكتب آياته على قميصه فبرئ منه الهنادكة و لم يقربه المسلمون إليهم! فعاش قديساً ثائراً وناسكا زاهدا ينادي بالتوحيد ويدعو الناس إلى الخلق الحسن وخدمة الخلق حتى مات!

ويقـــال إن الشـــيخ إبراهيم الفريد الثاني كان قد استخار قبل أن يعطـــي المجموعـــة الشـــعرية لجـــده ويفوضها إلى البابا(نانك) فظهر له بالاســـتخارة أن الشـــعر لن يضيع على يديه وسيصل إلى الأجيال القادمة بأمـــان وضـــمان ودون أي عيب ونقصان. ولكننا لانعلم شيئا عن مصير الأصـــل المكتوب بالخط الفارسي لأن الكتاب السيخي المقدس كان ولا يزال يكتب بخط يسمي خطا" غور موخيا" وهو خط السيخ ويشبه خط اللغة الهندية لغة الهنادكة! وذلك الخط السيخي لا يوجد فيه أصوات عربية ومن ثم قد حدث تصحيف وتحريف في شعر الشيخ فريد الدين مسعود ولا يـــزال في حاجـــة إلى من يعرف الخطين العربي والسيخي فيقوم بتحقيق الديوان. وشعر الشيخ فريد هذا الذي يضمه كتاب السيخ المقدس يحتوي عـــلى 112بيـــتا ويسمي كل بيت "اشلوك" بالبنجابية القديمة التي كان يتحدث بها الشيخ فريد وهي كلمة سنسكريتية ومعناها الكلام الموزون أو البيت الشعري، وقد عولنا في تعريبنا للديوان على ثلاث طبعات له:

(1) طبعة الأستاذ مقبول الهي

(2) طبعة الدكتور نذير أحمد

(3) طبعة الأستاذ محمد آصف خان.

وهذا الشعر البنجابي للشيخ فريد الدين مسعود هو شعر بنجابي، ويعبر عـــن عواطـــف الإنسان البنجابي ومشاعره تعبيرا صادقا كما أنه يعبر عن عواطـــف كـــل انسان ومشاعره تعبيرا صحيحا، فالواقع أن الشيخ ليمثل الـــثقافة البنجابية تمثيلا بمعني الكلمة، لأن الإنسان البنجابي بالأمس واليوم

إنسان رحب الصدر واسع القلب حلو اللسان سليم الذوق صادق اللهجة ليس في حديثه العام وكلامه العادي فحسب بل فيما يفعله عمليا ويقوم به من الترحيب الحار لكل مسافر زائر وضيف طارق ويؤثر غيره على نفسه في كل ما لديه ويملكه أو يقدر عليه من القيام بالخدمة وتقديم الضيافة والحفاوة بضيفه من أعماق صدره وبقلبه الصادق الذي يتدفق حبا وإخلاصا فكأن الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، في شعره وفكره يجمع بين ما ورثه من التقاليد الثقافية والحضارية البنجابية منذ القدم وبين ماجاء له بحكم إيمانه بالله وحده وعقيدته الإسلامية السمحاء التي تقوم على التوحيد والوحدة البشرية والمساواة الشاملة والأخوة الصادقة من مبادئ دين الله الحنيف ومن التقاليد الثقافية العربية الفاضلة التي ورثتها رسالة التوحيد والأخوة والمساواة من نوح وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام إلى محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، فشعر فريد هذا، إذن ، إنما هو شعر يعبر تعبيرا صحيحا عن تعاليم الإسلام والثقافة العربية القديمة كما أنه يعبر تعبيرا صادقا عن الثقافة البنجابية المتدفقة حبا وإخلاصا للبشرية كلها دون تفرقة عنصرية أو تمييز عقائدي، إذ هي ثقافة تتدفق بالمشاعر الإنسانية الجملية كما تجري وتتدفق الأنهار الخمسة التي تسقي وتروي الأراضي القاحلة الميتة فتحييها فتحولها إلى حقول خصبة خضراء كثيرة المنافع والخيرات في إقليم بنجاب!

ومهما كان أصل الشيخ فريد أو أرومته التي كان ينتمي إليها، أعربيا كان أصله أم عجميا، فذلك مما لا يهم بهذه المناسبة، وإنما المهم هو

أنه قال الشعر باللغة البنجابية التي تعلمها من أمه والتي كان يتحدث بها هو وكل من كان يعاصره من الناس، المسلمين وغيرهم في المنطقة ، الذين عاش بينهم فريد فتأثر بهم و أثر فيهم، وهذا الشعر البنجابي الذي قاله الشيخ في تلك اللغة البنجابية المغربية أو اللهجة الملتانية ، يمتاز بأسلوبه الخاص، فرغم أنه كان من أسرة قد تحدرت من هراة في أفغانستان إلى ملتان في إقليم بنجاب و لم يكن قد مضى وقت طويل على نزوح الأسرة إلى الهند و مغادرتها بلاد اللغتين العربية و الفارسية، إلا أن شعره البنجابي القح يحمل طابعا محليا خاصا، وقلما تجد فيه أثرا لغويا أو أدبيا من العربية أو الفارسية غير الفكر الإسلامي العريق، إنما هو شعر بنجابي قح بمعنى الكلمة ، وذلك إن دل على شئ فإنما يدل على أن الشيخ ، رحمه الله ، قد كان من هؤلاء الصوفية المسلمين الأبرار الذين لم يكن يهمهم غير نشر الفكر الديني الإسلامي بين الناس و دعوتهم إليه في لغتهم الأصيلة المتداولة فيما بينهم لكي يتمكنوا من فهم الإسلام فهما مباشرا جيدا صحيحا فيهتدي إليه من شاء أو من أراد به الله خيرا فيهديه إلى دينه، فذلك قد كان دأب الصوفية المسلمين وهمهم في شبه القارة، ولقد كان عباد الله هؤلاء يجلسون في مجالسهم العامة و في حلقاتهم المفتوحة فيأتي إليها كل من هب ودب دون تمييز أو تفرقة فيستمعون إلى حديثهم ، الذي كان سهل الفهم قريب المنال شيقا جذابا مرغوبا فيه، فينتفعون به ويستفيدون منه، وكان حديثهم هذا الممتع المفيد يتخلله ذلك الشعر الصوفي الممتع الفعال فيؤثر في نفوسهم و يجذبهم إلى الإسلام فيدخلون في دين الله عزوجل عن

رغبتهم فيه وحبهم له! ومن ثم قد جاء شعر هؤلاء الصوفية الأخيار تعبيرا صـــادقا عـــن المجتمع الذي عاشوا فيه، و تصويرا رائعا صحيحا للبيئة التي أثـــروا فيها كما أنه ، في نفس الوقت ، يعبر عن الفكر الإسلامي ويصور جهـــود الصوفية في دعوة الإسلام و تبليغه إلى الناس في شبه القارة، و أن الجموع المتكاثرة من السكان المسلمين في هذه البلاد قد اعتنقت الإسلام و دخلـــت فيه نتيجة لجهود هؤلاء الصوفية الدعاة وهم أصحاب الفضل في ذلك جزاهم الله خيرا عن المسلمين جميعا!

و أما اللغة أو اللهجة البنجابية ، التي اتخذها الشيخ أداة لشعره و التي كان يتحدث بها في أسرته و أهله و اختارها للتعبير بها، فهي لغة ملتان البنجابـــية أو الـــلهجة الغربية البنجابية عند اللغويين والألسنيين القدماء ، وهـــي التي كانت ولا تزال أداة للتعبير الشفوي ولغة التخاطب عند أهل ملتان و ما إليها من المناطق(وهي اللهجة السرائيكية عند المحدثين اليوم!) وهـــي مـــناطق واسعة وطويلة جدا وتقع على ضفتي نهر السند و تمتد من مـــنابعه في المـــناطق الجبلية الشمالية إلى مصبه في بحر العرب حيث كان الإنســـان في القـــديم يحب أن ينـــزل على سواحل النهر ويبني بها المدن والقـــرى لكي يتمكن من الحصول على الماء للشرب والسفر فيه بالسفن والقـــوارب، والذين نزلوا بهذه المدن والقرى و عمروها وسكنوا بها، قد كـــانوا من أصول شتى و أجناس مختلفة من البشر، وكان آخرهم الفرس والـــيونان ثم العـــرب والأتراك والمغول، وجميعهم قد تحدثوا بتلك اللهجة البنجابـــية ، التي عرفت باللهجة الغربية وتعرف باللهجة السرائكية اليوم،

وقد أثر فيها هؤلاء جميعهم و تأثروا بها خلال القرون الطويلة! فتلك هى اللغـــة أو اللهجة البنجابية التي تعلمها الشيخ من أمه الحنون وتحدث بها و قرض بها الشعر حين استقر أخيرا على ظهر قرية "أجودهن" أو "باك بتن" (أي المـــورد الطاهر) اليوم حيث قضى الشيخ فريد الدين مسعود ما تبقى مـــن عمره و بها مات وبها مدفنه و ضريحه ، وهذه اللهجة البنجابية ، التي قال بها الشيخ شعره هي تمتاز بمفرداتها البنجابية القديمة و يوجد بها القليل من المفردات العربية و الفارسية ، وهي قريبة من اللغة السندية وتشبهها في كثير من الأشياء.

واللغة البنجابية ، بصفتها إحدى اللغات القديمة في شبه القارة، لغة أدبـــية عريقة، وحتى يرى البعض بأنها هي أقدم من اللغة السينسكريتية ، وقد تكون أقدم من اللغة الدراورية التي كانت سائرة متداولة قبل أن يجئ الآريـــون إلى شـــبه القارة، إذ هي لغة الجنس البشرى الدراورى ، وهم السكان الأصليون لبلاد شبه القارة، فالبنجابية ، إذن، قد تكون أقدم لغة نطق بها الإنسان في شبه القارة ، ومن أبرز ميزاتها أنها لغة بسيطة سهلة و تمـــتاز بالأســـاليب البلاغية البسيطة السهلة على عقول العامة والخاصة في نفس الوقت ، إنهم يفهمون ما يلقي بها عليهم من الخطب وما قيل فيها من الشعر دون أية صعوبة و مشقة وعناء ، مهما بلغ الشعر القمة من المحاسن الأدبـــية والإناقات اللغوية والأساليب البلاغية ، وذلك مما يحفل به الشعر الصوفي البنجابي عبر العصور ، وشعر الشيخ فريد الدين مسعود دليل على

تلـــك الدعوى ، وهوخير مثال قلدة الشعراء المتصوفون في عصره وفيما بعده من العصور.

ومـــن المحاســـن الأدبية والإناقات البديعية التي يمتاز بها شعر اللغة البنجابية هي الكثرة المفرطة من الكنايات والاستعارات المتنوعة ومثال ذلك المصـــباح الذي يكني به مرة بالعين و أخرى بالروح في اللغة البنجابية فإن العـــين تضئ و تهدي الطريق كما ينير المصباح البيت فإذا فارقت الروح الجســـد، و قضى عليه بالموت، انطفأت العين كما ينطفئ المصباح فيسود الظلام البيت، ومثال ذلك بيت شعري أو أشلوك لرائد الشعر البنجابي و إمامه الشيخ فريد الدين مسعود الذي يقول:

فـــريدا دوهين ديوي بلديان ملك بيتها آ

كرهـــ ليتا كهت ليتا ديوري كيا بجهـــا

و معناه:"أمـــا رأيت يا فريد! أن الإنسان عند ما كان حيا كان مصباحاه يشـــتعلان ويضـــيئان أي كانت عيناه تلمعان، فجاء ملك الموت فجـــثم على الإنسان الحى ففتح قلعته أي جسده و نهب البيت أو قبض الروح و أطفأ المصباحين أي العينين!! "

فالبيـــت الشعري هذا للشيخ ملئ حافل بالكنايات والاستعارات يفهمها كل بنجابي بمجرد الاستماع إليه ، وتلك هي ميزة اللغة البنجابية الـــتي قد انتقلت إلى آدابها شعرا و نثرا! و في البيت من المعاني والأفكار لا يطلـــع علـــيها إلا من تعلم البنجابية و عرف تقاليدها و أعرافها و أدرك مـــيزاتها الأدبية، فالانتصار النهائى على الجسد أو فتح قلعته إنما هو إنذار

للجـــبابرة العنداء الذين يعتقدون بأنهم خالدون، و أن لهم حصونهم المنيعة وقلاعهم المشيدة سوف تدافع عنهم و تقيهم من الأعداء المغيرين و مهالك الموت وغوائله، فهكذا كان الصوفية المسلمون يعظون الطغاة من الملوك و يـــنذرون الجـــبابرة من الأباطرة سوء العاقبة لمن يظلم الناس منهم، ومن غضب الله و عقابه لمن ادعي العظمة والكبرياء ، وتانك الصفتان قد استأثر بهما الله و خصهما لنفسه كما نص عليه الحديث القدسي:

" يقول الله عزوجل: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي!"

وللشيخ فريد بيت بسيط ولكنه حافل بالكنايات حيث يقول:

فريدا روتي ميرى كاته دى لاهوى ميرى بهكه

جنهان كهاديان جوبريان كهني سه نكى دكه!

و معناه:"إن خـــبزي الذي أعيش عليه يا فريد! هو من الأخشاب أي من ثمرات الأشجار وقشورها فهو طعام يغنيني من الجوع، وأما الذين يـــأكلون الأطعمة السمنية الدسمة، سوف يحزنون ويكابدون الألم ويندمون في النهاية".

فهذا البيت الشعري للشيخ فريد الدين مسعود يحكى لنا قصة كما أنه يحفل بالمحاسن الأدبية والروائع الفنية في الوقت نفسه، فأما القصة فهي أن الشيخ، رحمه الله، عندما نزل بظاهر القرية" أجودهن" لم يرد أن يكون عبئا على أحد أو يشحذ الأخباز على الطريقة التي يختارها الصوفية الفقراء وإنمـــا قرر أن يعيش على ثمرات شجر الكرير الذي كان متوفرا في المكان

كمـــا أن الشيخ كان قد نزل تحت أكبر شجر من بينها واتخذه منـــزلا له وأخـــذ يعيش على ثمره وقشره وورقه وخشبه! وقد صرح به المترجمون له وقد استمرت حياته على ذلك المنوال مدة حتى تمكن من بناء الأكواخ له ولأهلـــه! وحـــتى بدأت" الفتوحات" تأتيه من كل ناحية وصوب، وأما المحاســـن الأدبية والروائع الفنية فقد كني الشاعر في بيته هذا بالخبز الخشبي عـــن ثمرات الأشجار وقشورها وأوراقها التي عاش عليها مدة من الزمان والـــتي يعـــيش علـــيها الزهاد والنساك الهائمون المتجولون في البوادى و الصحارى دائما يبحثون عن بغيتم و يتجنبون الناس ويبتعدون عنهم! و لم يعرف عن الشيخ أنه اتبع هؤلاء المغامرين، ولكنه قد عاش على ثمر الشجر الـــذي جلس تحته و اتخذه منـــزلا كما استفاد و تمتع من ثمرات غيره من الأشجار الأخرى التي كانت حوله في الأجمة.

ومن نوادر التشبيه عند الشيخ قوله الذي يشبه فيه الصوفي الصابر الحليم بالشجر المثمر الذي يتحمل ضربات الحجارة والعصي من قبل من يجني ثماره ولكنه لايمنعه من ثمره بل هو يؤتي لهم ثماره و ينفعهم دون منع أو انقطاع ، يقول:

فريدا صاحب دي كر جا كرى دل جى لاه بمراند

درويشان نون لـــوريي ركهان دي جيرانـــــــد

ومعناه: "كن يافريد! عبدالربك وحده ولا تعبد سواه أحدا! وبه تستطيع أن تعـــزى قلـــبك و تطمئـــنه! و تذكّر دائما ولا تنس أبدا إن الدراويـــش المتصـــوفين في حاجة إلى صبر وحلم قد امتازت به

الأشجار المثمرة التي يأتي جناة ثمارها فيكيلون لها ضربات الحجر و العصا ولكنها لا تمنعهم ثمارها و تتحمل أذاهم دون شكوى!".

وللصـــوفية طرق يتعزون بها و يلقنون الناس العزاء على أساسها، فمن ذلك أن الذي يشترك فيه جميع البشر هو الحزن والألم ، لن تجد إنسانا لا يحـــزن ولا يجد الألم والمحن فذلك هو القاسم المشترك بين الناس جميعا، وفـــيه يقول الشيخ ، رحمه الله: ما معناه: " قد ظننت أنا يا فريد: كأنني حزين وحدى ولكن ظني كان كاذبا!

فالحزن قاسم مشترك بين البشر ويعم العالم كله! فقد صعدت إلى مكان مرتفع فألقيت نظرة من على المكان المرتفع فرأيت أن نار الحزن قد شملت بيوت العالم كله وتحرق كل بيت!"

وفي هذا المعني يقول شاعر عربي، ولله دره:

كل من ألقاه يشكو للزمـــن ليت شعرى هذه الدنيا لمن!؟

ومن روائع الفكر وبدائع القول عند الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، قوله في حب الزهاد لله ومشكلتهم في الوصول إلى حضرته جل جلاله:

فريـــــدا كليين جكر، دور كهر، نال بياري نينه

جي جلان تي بهجي كمبلي، جي رهان تي تيتي نينه

ومعـــناه:"يا فريد! الأزقة كلها وحلة ملساء، والمنـــزل بعيد جدا، وصلة الحب بالحبيب تجرني إليه، ولكنني إذا مشيت ابتل دثاري واتسخ، وإذا لم أتقدم نحوالحبيب انقطعت صلة الحب به!!"

ونكـــتفي بهـــذا القدر من الروائع الفنية للشيخ فريد فهي كثيرة متنوعة ونترك المجال للقارئ العربي الذي أردنا أن نمتعه بهذه الترجمة العربية ونضـــيف بها شيئا، ولو كان ضئيلا حقيرا، إلى إثراء اللغة العربية، فجملة القـــول إن الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، قد كان عالما متدينا قد أتقن العربية وعلومها ثم كرس حياته كلها للدعوة إلى الله وإصلاح النفوس وبناء المجتمع وأنه كان شاعرا متصوفا ومؤمنا موحدا لايري في الكون قوة غير الله الحق الذي جبلت القلوب على حبه وسكنت إلى رحمته واطمأنت بذكـــره ووجدت الراحة في السبيل إليه - مهما كان صعبا وعراشائكا!- وحنت إلى حضرته شوقا وفرحا وسرورا ! وكان ذلك مما جعل الشيخ لا يحفل بالدنيا وأهلها وزخارفها وكان يكرهها أشد الكره فلم يلتفت إلىما فـــيها أو إلى ما في أيدي أهلها، ورأي أن ذلك كله إنما هو متاع الغرور، فاعـــتزم عـــلى أن يفر منها فرار الخائف من نار الحريق أو العائذ بالله من الغريق! رحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه.

لاهور في 2003/7م

أ.د. ظهور أحمد أظهر

تعريب الأبيات الشعرية

(1)

- يـــوم تمت خطبة العروس ففي نفس اليوم تم تحديد عقد قرانها!، فإذا بملـــك المـــوت الذي كنا نسمع به ، قد طلع وكأنه يقدم العروس للعريس كهدية الزواج (يقول إن الحياة قصيرة والموت حق وليس بين المولد والموت مهلة إلا كما يكون بين الخطبة ثم عقدة النكاح وتقديم العروس للعريس كهدية!)
- إن ملـــك الموت سوف يأتي فينـــزع الروح البائسة من البدن حتى و كأنـــه يمزق العظام ، فالأنفاس معدودة مكتوبة ، ولا تطول ، ولكن مـــن الـــذي ينصح الروح البائسة ويقنعها؟! (لحظة النـــزع صعبة رهيبة، وهى آتية البتة ، وعلى الإنسان أن يتعظ بذلك!)
- فالروح عروس والموت عريس يتزوج العروس ، فيذهب بها ويودعها الأقـــارب أنفسهم وهم يتباكون متعانقين بعضهم البعض (مشهد من المشاهد عند توديع الميت).
- إن الصـــراط إلى الخلود أدق من الشعرة وسرعة العبور عليه ستكون أسرع من الصوت! فهل تسمع يافريد بالهاتف الداعي الذي يناديك قائلا : لا تقف غافلا حائرا مندهشا! (لا تضيع العمر و استعد لعبور الصراط إلى الجنة بالعمل الصالح!).

(2)

- (يـــتحدث عن طريق الفقر الصوفي الوعر الصعب ويرى أن طـــريق أهـــل الدنيا أسهل منه بكثير، فيقول): إن باب الفقر صـــعب عصـــيب، وأريد أن أختار طريق أهل الدنيا حيث يســـتطيع المسافر أن يشد رزمته ويحملها معه ثم يضعها حيث يشاء دون حظر أو تردد!

(3)

- إن الدنيا، بزخرفتها اللامعة وأغطيتها الكثيفة،نار حامية، ولا يمكن لي أن أدرك حقيقتها و أميزبين خيرها وشرها ولكن الله جل جلاله كان بي رحيما وإلا فقد كنت على وشك السقوط فيها، والاحتراق بحرها اللاذع !

(4)

- (هـــنا يتحدث الشيخ عن أيام الحياة الدنيا القليلة التي تنقضي بســـرعة ويشبهها بحبوب سمسمية، ويتحدث عن ربه الصمد الغني الذي يبتلى عباده دون أن يبالي بهم في بلائهم فيقول):لو كنت أعرف أن الحبوب السمسمية قليلة العدد لملأت بها كفى جـــيدا، ولو كنت على علم بأن ربي غني صمد لا يبالي بمن يبتلـــيه مـــن عباده لما افتخرت به كثيرا، ولكنني كنت خائفا مترقبا فيما أعمل و لم أتدلل معه أبدا !

(5)

- لو عرفت أن الحبل مرخي مهلهل لشددت العقدة، وقد سرت في أرضك الرحبة كلها يارب! فلم أجد أحدا يباريك في الكبرياء وينازعك في العظمة! (يفقد العبد صلته بربه إذا كانت ضعيفة واهية، فهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ في العظمة والكبرياء!)

(6)

- (يريد الشيخ فريد الدين مسعود أن ينصح لنا مخاطبا نفسه فيقول): إذا كنت، أنت يا فريد، ذا عقل لطيف سليم فعليك أن تجتنب الذنوب والآثام، وعليك بالتواضع وخشية الله، وذلك بمعرفتك نفسك وباستشارتك قلبك وضميرك!

(7)

- (من نصائح الشيخ ومواعظه لأتباعه أنه يأمرهم بالعفو والصفح والصبر والحلم، عاملا بقوله سبحانه وتعالى: ولمن صبر و غفر فإن ذلك لمن عزم الأمور، وقوله تعالى: فاعفوا واصفحوا، فيقول): إن لطموك يا فريد! فلا تلطمهم وعليك أن تعود إلى منزلك أي أعرض عنهم إعراضا وتنح إلى ناحية فسوف ترى الناس قد تراجعوا عن الإساءة إليك!

(8)

- (الإنســـان الغافل يضيع الفرص المتاحة ثم يندم على ذلك في الـــنهاية! وعن ذلك يقول الشيخ فريد:)عند ما كانت فرص العمل متاحة شاركت الناس في اللهو واللعب يا فريد! وحين اقترب وقت الرحيل بدأت الرجوع إلى الله وأردت أن ترضيه وتتقرب إليه! فيا للخسارة والفضيحة!

(9)

- (الشيخ ينبه الغافل الذي يضيع العمر فلا يحفل بما يحتاج إليه في عقباه فيقول): أنظر إلى ما قضيته من عمرك يا فريد!فقد ابيض شعرك وأنت على وشك الرحيل! فقدم لغدك وما تحتاج إليه في عقباك، أفلا تري ان الذي قضيته من العمر قد ابتعد عنك ابتعادا و اقتربت ساعتك اقترابا!؟

(10)

- (الشـــيخوخة تتبع الشباب فيتحول سم العواطف الجياشة إلى سكر الهدوء، ولكن من لآلام الوهن والضعف!؟ يقول الشيخ فـــريد الدين مسعود في بيته الشعري البنجابي هذا): انظر يا فريد! فقد انقضى شبابك فتحول من العاطفة الثوريّة إلى سكر السكينة والهدوء ، و لكن ليس من تشكو إليه وتستعين به في آلام الشيخوخة وضعفها و وهنها، غير ربك الرحيم الكريم!

(11)

- (قد يسئم الإنسان من طول حياته فيري صورته في المرآة وقد تغـــيرت فـــأين قضـــي الإنسان حياته وكيف تغيرت بشرته وصورته، سوال يوجهه الشيخ إلى الإنسان الغافل فيقول): إن عينـــيك يا فريد! قد حسرتا وعميتا من كثرة ما نظرتا إلى ما كان في شبابك من قبل، وأن أذنيك قد أصمتا وسدتا بكثرة مـــا أصـــغتا إليه،وأن غصن وجودك قد أينع الآن فتغير لونه وظاهره!

(12)

- (زمـــن الشباب هو خير وقت للتعبد و التزهد، أما الهرم فكل إنسان يزهد فيه ويرجع إلى الله بطبيعة الحال وإليه يدعو الشيخ فـــريد وينبه عليه فيقول): لم تذكر الله في شبابك وتذكرته في الهـــرم! وقـــد كان من واجبك المستحسن أيها الإنسان أن تصطبغ بصبغته الحب لربك جل وعلا فتكون صبغتك جديدة رائعـــة لـــيس لها زوال! (والجدير بالذكر أن أحد القديسين السيخ قد علق علي قول الشيخ فريد في بيت شعري بنجابي له فقال: إن ذكر الرب الحبيب ينفع الإنسان دائما يا فريد! سواء كان ذلك في الشباب أو الهرم!)

(13)

- (إن الحـــب لله من سعادة المرء، ولكن يرزق به السعداء فقط وليس ذلك في مقدرة كل انسان، وإلى ذلك يشير الشيخ فريد الدين مسعود رحمه الله فيقول): كل امرء يتمني أن يرزق بحب الله وكـــرمه، إلا أنـــه لا يرزق به إذا تمني، وإنما حب الله هو كـــأس الحبيب سبحانه وتعالى يسقى بها من يشاء من عباده! (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).

(14)

- (الموت والفناء هو سبيل كل حي مهما كان جماله أومكانته، ولا بد أن يفنى يوما في التراب! وهذا هو معني البيت البنجابي الـــذي قالـــه الشيخ فريد) قد رأيت عيونا للحسان قد فتنت العالم كله، واستأسرته بحرها، ولكنها قد أكرهت بعد الموت أن تضع التراب مكان الكحل أو تتغوط الطيور فيها!

(15)

- (النصـــيحة والموعظة تنفع السعداء المحظوظين، وأما الأشقياء البائســـون الذين يتبعون خطوات الشيطان فلا نصيب لهم من وعظ الواعظين أو نصيحة الناصحين، يقول الشيخ فريد الدين مســـعود، رحمه الله،): قد بذلت المجهوديا فريد! وأنت تصرخ وتتضـــرع وتنصح كل صباح ومساء، ولكن الذي قد أضله

الشـــيطان لن يستمع إليك ولن يقبل نصحك ولن يعيرك أي اهتمام!

(16)

- (من أراد رضا الله وقربه فعليه بالتواضع والمداراة): إذا أردت الطـــريق إلى الله فكن عشبا مفروشا في الطريق والذي يقطع تقطـــيعا فيمزق في الأقدام تمزيقا حتى تصل إلى حضرة الرب جل وعلا وتدخل في جنته بين المقربين إليه! (فمن تواضع لله رفعه الله!)- !

(17)

- (التواضـــع خير علي كل حال، وفيه كل خير فلا تحتقره ولا تحتقر من يتواضع لله! وفي ذلك يقول شيخنا فريد) ولا تحتقرنّ الـــتراب ولا تذمنه يا فريد! فإنه يفوق الكل! أما تراه يكون تحت قد ميك حيا ولكنه سوف يبقى فوقك دائما بعد الموت!

(18)

- (الطمـــع في الدنيا والحب لله لا يجتمعان في قلب واحد، ومن ادعـــي ذلك فقد كذب، وعن ذلك يقول الشيخ فريد الدين مســـعود رحمـــه الله): حيث وجد الحرص والطمع فلا مكان للحب والعشق هناك يا فريد! فإن الحب الذي يشوبه الحرص كـــذب ورياء، فإلي متي تستطيع أن تتقى المطر وأنت تحت

ســـقيفة مثقوبة متقطعة ذات ثغرات كثيرة تتقاطر منها الرذاذ المسلسل من الحرص!

(19)

- (الـــرب في قلـــبك فلا تبحث عنه في الخارج!)لما ذا تهيم في البوادي وعبثاً أنت تمشي على طرق وعرة شائكة يا فريد! فإن الـــرب عزوجل في قرية عامرة تسمى قلبا! فلا تبحث عنه في البوادي والصحاري و إنما يجب أن تبحث عنه في قلبك!

(20)

- (الطفولة والشباب عهد قوة ونشاط، وأما الهرم والشيخوخة فوهـــن وضعف ليس إلا! وذلك ما أراده الشيخ فريد بقوله): قـــد استطعت أن تقطع الصحاري المترامية الأطراف برجليك الصغيرتين هاتين يافريد! وأما اليوم، وأنا شيخ طاعن في السن، لا أقدر على شئ، وحتى عروة الوضوء القريبة المكان تبدولى وكأنها على بعد مئة فرسخ مني!

(21)

- (الســـعيد مـــن لاينام غافلا والشقي الذي ينام غافلا وينسي ربه): من لهؤلاء الذين يبيتون ليلا طويلا نياماً غافلين حتى أن أن جنوبهم تكاد تتألم من النوم الطويل! إن حياتهم هذه شقاء وبؤس كيف ينامون وقد أنسوا ربهم! وكيف يرجون رحمة الله ومغفرته يوم الحساب!؟

(22)

- (إذا كان الإنسان معدما فأني له أن يقري الضيوف بشئ غير التأســـف واليمين معتذرا بين أيديهم!) لو كنت أملك شيئا للقـــرى يا فريد لضحيته لضيوفي الأحباء القادمين ولكنني لا أقـــدر عـــلى شئ غير أن أحترق تحسرا ومعذرة كما تحترق الياقوتة على الجمرات المشتعلة!

(23)

- (ما تزرع تحصد!) انظر إلى ذلك المزارع الأحمق الذي يزرع الســـنط ولكنه يرجو أن يجني العنب! إنه قد قضى عمره وهو يغزل الصوف فإذا حان وقت اللباس أخذ يطلب الحرير!!

(24)

- (الطريق إلى الرب الحبيب جل جلاله صعب وعرفلا يصل إليه إلا مـــن تحمـــل الشدائد وأتى الله بقلب سليم وإلى ذلك ينبه الشـــيخ فريد فيقول:) الأزقة موحلة، ومنـــزل الحبيب بعيد، وأنـــا أطلب وصله! فلو مشيت في هذه الأزقة الموحلة في ليلة ماطـــرة لابتل ردائي وإن تأخرت في الوصول إليه لغاب مني وقطع بي صلته!

(25)

- (لا بـــد من الوصول إلى حضرة الرب سبحانه وتعالى مهما كـــان الثمن!) : يا ردائي! كن مبتلا أو مخضلا والله! لينـــزل المطر كما يشاء! ومهما صعب الطريق إلى حضرته فلا بد لي من الوصول إليه لكي لا تنقطع صلة الحب به!

(26)

- (الإنســـان يتحاشي التراب ويتجنبه وهو حي، أما بعد الموت فـــبدنه قد كان من التراب وسوف يعود إليه كما كان وهذا هـــو المعني الذي يتحدث عنه الشيخ فريد فيقول:) إنني مخطئ يا فريد حين أتحاشى التراب وأتجنبه وأحاول أن أحفظ عمامة رأسي لكي لا تصير قذرا بالتراب بينما أنا غافل وأهمل الحقيقة المرة بأن رأسي سوف يأكله التراب يوما حين آوي إلى القبر وأثوى في الثرى ميتا!

(27)

- (الإيمـــان بالله والعبادة له أحلي الحلاوات كلها:) إن السكر بأشكاله المتنوعة، والعسل بأنواعه المتكاثرة وحليب الجاموس بأوصافه، كل ذلك حلو، ولذيذ دون شك، ولكنك لم تتذوق الإيمـــان بـــالله والعـــبادة لربك الخالق الرازق إلا أنه أحلي الحلاوات كلها!

(28)

(يريد أن يقول الشيخ: القناعة مريحة والحرص محرج!): إن خبزي يا فريد إنما هو من الخشب كما أن إدامي من الجوع! االذي يأكل الخبز المسمن يعاني من الألم ويكابد الحزن دائما! (ويقول شاعر عربي في ذلك:

والنفس راغبة إذا رغّبتها وإذا تـرد إلى قليل تقنع!

(29)

- (عليك بالقناعة والصبر ولا تطمع في الشهوات، وفي ذلك يقول شيخنا الزاهد فريد!) كل خبزا جافا دون إدام واشرب الماء البارد يا فريد! ولا تطمعَنَّ نفسك الحريصة في الخبز بالسمن في أيدي غيرك من الناس.

(30)

- (الروح أمر الله ومن ثم يتوق إليه توقانا شديدا كما يتوق المحب إلى حبيبه أو المرأة إلى زوجها، والمتصوفة يكنون بالزوجة عن أنفسهم وبالله عن الزوج وهذا هو المراد بقول الشيخ فريد!): إنها لم تنم نومة مريحة دون زوجها وتشعر كأن بدنها متعب مضطرب يتوق إلى زوجها ولكن المسكينة مطلقة مهجورة فاسألوها عن قلقها وكيف باتت دون زوجها الحبيب!

(31)

- (الـــروح مهجـــورة مطرودة من جنة الله لا قرار لها في الدنيا وتتوق دائما إلى موطنها الأصلي!): إنها (المرأة المطلقة) لا تجد موئلا في أصهارها وقد طُردت من بيت أبيها، ولا يسأل عنها زوجها الحبيب ولا يعلم علمها أهي متزوجة ذات بعل حقا؟!

(32)

- (عند الموت يفارق الروح الجسد الذي لا يمكن أن يبقي بعد الغسل طويلا فيسارع الناس في دفنه!) إن تلك المرأة المهجورة المطرودة قد استحمت واغتسلت فتزينت فاستراحت مستلقاة، ولكـــنها لـــن تبقي طويلا على تلك الهيئة وإنما سيفسد بدنها فـــيعطي رائحة كريهة مثل رائحة الحلتيت لأن رائحة المسك الطيبة أي الروح قد فارقته!

(33)

- (حـــب الله يعمـــر القلب فإذا حرم القلب من حب الله ذبل فمـــات): إنني لا أخاف ذهاب الشباب ورونقه(والبيان على لســـان المرأة المهجورة) وإنما أخشى الحرمان من حب الزوج المحب فقد رأيت الكثير من الفتيات قد فقدن شبابهن وحرمن من رونقه حين حرمن من حب بعولتهن!

(34)

- (الـــروح لا يزال يحزن ويقلق على فراق حبيبه الرب يحن إلى لقائـــه) يا فريد!الحزن سريري الذي قد نسج من نسيج الألم والمضجع قد أعد من الهجر والفراق فهذه هي حياتنا الدنيا يا مالك الملك! فارحمنا أنت مولانا يا ربنا الصادق الحق!

(35)

- **(القلب الذي لا يحب، حجر، فأني له أن يقدر ألم الهجرأو لذة الوصـــل تقديـــرا؟!)**: الكل ينطق الهجر ويتحدث عن الفراق ولكـــنك أنـــت أيها الهجر تحتل مكانة السلطان الرفيعة بين عواطـــف الحب بأنواعها، وأن القلب الذي لم يذق ألم الهجر والفـــراق فكأنـــه ميت وخراب مثل المكان الذي يحرق فيه الهنادكة موتاهم!

(36)

- (نعـــم الدنيا ظاهرها حلاوة ولكن أصلها مرارة السم، وهي زائلة لا محالة، وأما نعيم الجنة فليس بزائل): يافريد! هذه النعم الفانـــية في أصـــلها وجوهرها إنما هي مرارة عشب الخردل، ولكنها مطلاة مغلفة بالسكر، وأنت تري أهل الدنيا إما ظلوا يجمعونها و يدخرونها أو راحوا يبددونها تبديدا!

(37)

- (الحـــياة غالـــية ويظنها الناس رخيصة وسوف يحاسبون عنها حســـابا عسيرا): قد ضيعت أربع ساعات من يومك يا فريد وأنـــت تكسب دنياك! وأما ساعات الليل الأربع فقد ضعيتها نائمـــا، وسوف يحاسبك ربك ويسألك عن غرض وجودك والمهمة التي خلقت لأجلها(خلق الموت والحياة ليبلوكم أيك أحسن عملا!) ويقول شمس الدين الذهبي، رحمه الله:

يا غافلا من عمـــره بشبيبـــة
علقت يداك بأضعف الأسباب
ضيعت ما يجدي عليـــك بقاؤه
وحفظت ما هو مؤذن بذهاب!
المال يضبط في يديـــك حسابه
والعمر تنفقه بغيْـــر حساب؟!

(38)

- (الوقت ثمين لأنه هو الحياة وسوف يحاسب الإنسان عنها): قد رأيـــنا الجـــرس حين وصلنا إلى الباب(وكانوا يضربونه إيذانا بمضـــي الساعة) ولكنه يضرب دون أي ذنب أذنبه أو اقترفه ولكننا نحن مذنبين فما عسى سيكون مصيرنا!

(39)

- (الجـــرس يضـــرب عليه بعد كل ساعة دون ذنب اقترفه فهو مسكين حزين كيف يقضى ليله): إن الجرس يصاب بضربات شـــديدة عند صنعه ثم يضرب عليه بعد كل ساعة خلال يوم وليلة، وهكذا الجرس المسكين يقضى وقته بين الآلام والأحزان دون ذنب اقترفه! وماذا سيكون مصيرنا نحن المذنبين؟!

(40)

- (الموت خير من سؤال غير الله وقد نهانا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول الشيخ فريد الدين مسعود): لا تكلني إلى غيرك يارب! ولا تجعلني أجلس أو أقف سائلا على بـــاب أحـــد غيرك وإذا كان كذلك فإني أفضل الموت على الســـؤال وأرجـــوك يارب متضرعا إليك أن تميتني إماتة العز والشرف!

(42)

- (طالـــب الدنـــيا وطالب العقبى يفترقان وكل واحد منهما له وجهـــة هـــو موليها!) وهذا حداد قد جاء وعلى كتفه فأس وعلى رأسه جرة ماء يريد أن يقطع حطبا من الشجرة التي أنا جالس تحتها يافريد فأنا أطلب مولاي جل وعلا بينما يبحث الحداد عن حطب الفحم أي أطلب النجاة من النار وهو يعد لها الحطب!

(43)

- (الأثرياء غافلون عن ربهم وعقباهم، بينما الفقراء يذكرون الله ولا ينسون عقباهم أبدا والحساب يوم الحشر عند الله!) يافريد! تري الناس قد ادخر بعضهم الثروات الضخمة بينما البعض الآخر ليس لديهم شئ وحتى الملح! وسوف يعرفون جميعهم يوم الحساب يخسرون أم يربحون!

(44)

- (الموت يقضى علي التاج والثروة، ويأوي الميت إلى قبر قفر موحش!) إن الذين كانوا أصحاب السلطة والجاه وكان معهم المطربون والمادحون قد قضى عليهم الموت فدفنوا في مكان قفر خاملين كاليتامي والمساكين!

(45)

- (مفاخر الحياة الدنيا وزنيتها تنتهي بصاحبها في القبر الموحش) إن الذين بنوا قصورا عالية و دورا واسعة كانت نهايتهم الموت وقد خدعتهم الدنيا فأودت بهم في المقابر يا فريد!

(46)

- (أصدق الحقائق وأكبرها الموت، وكل نفس ذائقة الموت إذا جاء أجلها، صغيرة كانت أو كبيرة، فلا يتأخر ولا ينتظر، وعن ذلك يقول الشيخ فريد الدين مسعود رحمه الله،): يا

فـــريد! كـــم مـــن عضو يضمه جسد الإنسان(من الأيدي والأرجـــل والمعدة والأمعاء والأحشاء الخ) الذي يشده المئات مـــن الأوتاد، وأما الروح فلا يشده وتد أو حبل وإنما هو حر طلـــيق يفـــارق الجســـد إذا حان موعده لا فرق بين الكبير والصـــغير فـــالكل ذاهـــب حسب نوبته ودوره وحتى شيخ المشائخ!!

(47)

- (الأجل لا يؤخر والموت لا يقاوَم والإنسان يستسلم أمامه ولا يســـتطيع أن يدافـــع عن نفسه ضد الموت!) إذا جاءك ملك الموت يا فريد فعليك بالاستسلام له بكل ما فيك من الجوارح والحـــواس لأنـــه سوف يفتح قلعة صدرك أي القلب وينهب بدنك ويطفئ مصباحيك من العينين!

(48)

- (ومن يعمل شرا يراه ويحصد ما يزرعه): إن الأعمال الشريرة الســـيئة هي التي سيعاقب عليها الإنسان يا فريد! أفما رأيت القطن والكتان والخردل والسمسم وقصب السكرو الكاغذ، هذه كلها تعصر في عصارة فتعذب عذابا أليما كما أن القدر والفحم يسودان كل شئ تسويدا فيكرههما الناس! (فكذلك الـــناس ســـوف يعذب بعضهم تعذيبا كما أن البعض الآخر يبغضهم الناس!

(49)

- (الـــنفاق والـــرياء مـــن الرذائل المبغوضة المكروهة، وأهلها مبغوضـــون مكروهون عند الله وخلقه جميعا): ترى أصحاب النفاق والرياء يمشون بين الناس وعلى أكتافهم سجاجيد، وقد لبسوا الصوف ولكن قلوبهم مقراض الحب والشفقة، وألسنتهم أحلي من السكر وظاهرهم صلاح وتقوى ونور و ضياء، إلا أن القلوب مظلمة وهم يأمرون الناس بالبر والصلاح، وينسون أنفسهم!

(50)

- (خشـــية الله الصفة البارزة من أوصاف أولياء الله الكرام)إن الإنســـان الـــذي لا يخـــاف ربه ولا يخشاه ولا يطيع أوامره ونواهـــيه فلا يرجي منه الخير، وهذا الخوف والخشية مركزها القلب فلو شققت القلب الخاشي الخاضع لما وجدت فيه قطرة من الدم! فهذه هي غاية خشية الله في قلوب عباده المؤمنين!

(51)

- (فاخـــرج وابحث عن رجل مؤمن كامل الإيمان والتقوى ولا تضـــيع وقـــتك عند أهل المكر و الرياء!):عليك يا فريد أن تبحـــث عـــن بحـــيرة واسعة الأطراف المتلاطمة بالمياه النقية الطاهـــرة حيـــث تجد الجواهر واللآلى! ماذا تبحث في بركة

حقيرة ذات الماء المكدر؟ لن تجد فيها غير الوحل الوسخ الذي ينجس الأيدي؟!.

(52)

- (الـــزهد والتعبد في عهد الشباب، وهو سنة الأنبياء، وأما في الشيخوخة والهرم فالكل يتزهد ويتعبد وفي الحديث: ما بعث الله نبيا إلا شابا والخير كله في الشباب! وذلك ما يعنيه الشيخ بقوـــله): إن المرأة الشابة لم تحاول استرضاء زوجها الحبيب، فإذا كبرت وعبثا حاولت استرضاءه فيئست، وأما إذا وصلت إلى قـــبرها أخذت تصرخ وتحن إلى زوجها الحبيب فلن تجده بجانبها.

(53)

- (الفرجة والنـــزهة أيضا في الشباب، وأما الشيخ الهرم فقد ولي شبابه و لم يعد يتفرج أو يفرح فالخير كله في الشباب): قد أينع شـــعر رأســـك ولحيتك وشاربك، فما ذا تبقي يا فريد من الفرحة والفرجة لقلبك الغافل الماجن من التفرج والتنـــزه في هذه الدنيا الفانية؟!

(54)

- (إلى مـــتى هذا النوم والغفلة أيها الإنسان فالحياة أيام معدودة والموت لا محالةَ آت !): إلى كم اللهو واللعب والعدو والرقص فـــوق سطوح المنازل كالأطفال يا فريد! وإلى متى تنام غافلا

عـــلى السرائر المريحة فقد ضَيَّعْتَ أيام حياتك المعدودة وأنت تعدو على سطوح المنازل وتلهو وتلعب جيئة وذهابا!؟

(55)

- (يـــريد أن يقول لا تحب الدنيا فتخسر، وخل هذه القصور وإلى ربـــك فارغبْ) لا تحب هذه المنازل والقصور والدور يا فـــريد! لأنـــك سوف تنـــزل قريبا في قبرك حيث ليس لك حبيب ولا مونس، وسوف يلقون على قبرك ترابا ليس له وزن ولا حساب!

(56)

- (علـــيك يـــا فـــريد! أن تعـــرض عن قصور الدنيا وثرواتها وزخارفها، ويجب أن تذكر الموت القوي الأتي دائما، وركز أنظارك وخيالك على المكان الذي سوف تصل إليه يوما (يريد أن يشير إلى قوله سبحانه إنما الحيوة الدنيا لهو ولعب وأن الدار الآخرة لهي الحيوان، صدق الله العظيم!)

(57)

- وأعـــرض عن الأعمال غير الصالحة، وأهمل التوافه منها لأن السيئات والتوافه سوف تخجلك وتندم عليها بين يدى الله يوم الحساب!

(58)

- (يريد أن يقول إن الزاهد من كان لله وحده، طاهر القلب في سلوكه، باسم الوجه فيما يصيبه في سبيل ربه!) يا فريد! كن خادمـــا مخلصا لصاحبك أي لا تعبد إلا الله مخلصا له دينك! وكـــن ذلك الدرويش الفقير الذي يتحمل كل شئ في سبيل ربه مثل الأشجار العالية المثمرة التي لا تمنع ثمارها لمن يضربها بالأحجار!

(59)

- إنـــني أســـود الملابس ، أسوأ اللون قبيح المظهر ، وأنا مثقل بـــالذنوب والمعاصي يافريد! ولكن الناس ، رغم ذلك كله، يســـمونني درويشا فقيرا ويعتبرونني زاهدا! (وهذا في منتهي التواضع من الشيح وعلى طريقة الملامتة من الصوفية!)

(60)

- (الشاعر العارف يشبه القلب العاصي القاسي المتحجر بالأرض المحـــترقة الميتة فيقول بأن النصح لا ينفع لذلك القلب كما أن المطـــر لاتفـــيد تلك الأرض الميتتة ثم يشبه الإنسان العاصي القاســـي المتحجر بالزوجة العقيم التي هجرها زوجها بعقمها فهى لاتزال تبكي وتتأسف على حرمانها، ولكنها لا ترجو أي اهـــتمام بها من قبل زوجها، فكذلك الإنسان الذي ختم الله عـــلى قلـــبه وسمعه وعلى بصره غشاوة !! إلا إذا أراد الله به

الخـــير!): إن المزرعة القاحلة الميتة التي احترقت دون الماء فإنها لايمكـــن إحياؤها مهما أصابها المطر الغزير، وكذلك الزوجة العقيم لم يبق لها من الأمل غير البكاء والتأسف والندم! (وهذا لايـــرجع إلى يأس الشيخ وقنوطه كما يراه البعض، وإنما هي حقيقة واقعية تحدث عنها الكتاب العزيز فقال ختم الله الآية.)

(61)

- الإنسان يطمع في زخارف الدنيا وظواهرها فإذا لم يستطع أن يصيب منها شيئا و أراد الخروج منها ، ولكن أني له ذلك!!) كانـــت المرأة باكرة تتوق إلى الزواج ولكنها ، بعد زواجها، حـــين واجهت المشاكل في أصهارها وبيت زوجها، أخذت تندم على ذلك وتمنت لو عاد إليها زمان بكارتها ولكن أني لها ذلـــك! (الـــندم بعد فوات الأوان لا ينفع على أية حال من الأحوال !).

(62)

- جـــاء الإوز العراقي فجلس على بركة ماء حامض في أرض قاحلة مجدبة فهو المسكين لا يستطيع أن يشرب ماءها الحامض و إنمـــا يـــتمنى لو سارع للطيران (الشيخ يشبه الدنيابالأرض القاحلـــة المجدبة ويشبه الإنسان العارف النقي بالإوز العراقي فيقول إن العارف قد عرف الدنيا فوجدها نتنة مثل الجيفة التي

لا يرغـــب فـــيها غير الكلاب ومن ثم فقد جاء في الحديث النبوي : الدنيا جيفة وطالبها كلاب!).

(63)

- قد جاءت أسراب طيور بأنواعها الكثيرة واحدة تلو الأخرى فاستقرت حول بركة الماء فعمرتها أياما ثم طارت واحدة تلوى الأخرى وسوف يأتي يوم تنتهى فيه مياه هذه البركة فلا يبقي غير زهرة اللوطس الفريدة في مائها (كل شئ هالك إلا وجه ربك ذوالجلال والإكرام!).

(64)

- الإوز العـــراقي قـــد طار فوقع في مزارع الدخن فجاء الناس وراءه و أخـــذوا يطـــردونه و يخوفونه لكي لا يأكل الدخن ولكن هؤلاء البسطاء لا يعلمون أن الإوز العراقي هو لا يأكل الدخـــن أبـــدا (الزهاد في الدنيا لا يرغبون فيها ولكن الناس يظنون فيهم ظن السوء!!)

(65)

- تكـــون لبنة تحت رأس الميت في قبره وهو ملقى على التراب يلســـعه حشرات الأرض من العقارب والحيات فيمضي عليه مـــئات الألـــوف من السنوات وهو ملقي وحيد على جانب واحـــد! (يصـــور الشيخ الميت في قبره كيف يلقي فيه دون مضجع حيث تلسعه الحشرات!).

(66)

- قد انكسرت جرة جميلة و انقطع حبل واهن اليوم، ولا ندري في أي بيـــت من البيوت قد نزل عزرائيل ملك الموت ضيفا! (المـــوت آت لا يميز بين القبيح والجميل أو الشاب والشيخ، ويقطع صلة الميت بدنياه!)

(67)

- قد انكسرت جرة الجسد الجميلة وانقطع حبل النفس الواهن يافريد اليوم! ولكن الأصدقاء الذين كانوا أعزاء في الحياة فوق الأرض كيف يمكن التزاور بينهم ؟! (بالموت تنقطع الصلات والعلائق فلالقاء ولا تزاور بعد الموت مع الأحياء!).

(68)

- أيهـــا الإنســـان الذي يترك صلواته المكتوبة أنت مثل الكلب الحقير لأن هذا المعسول المعتاد الذي اخترته ليس جيدا حيث لم تـــأت يوما إلى المسجد للصلوات الخمس الموقوتة! (فالصلاة عمـــاد الدين والصوفية يسمون تارك الصلوة كلبا بل أحقر و أذل منه بكثير!).

(69)

- إن الرأس الذي لا يخضع لمولاه في السجود هولا يساوى شيئا، ولا قـــيمة له ولا شرف! إنه يليق بأن يكون حطبا يحرق في النار تحت القدر!

(70)

- أين أبواك يا فريد! اللذان قد ولداك! إنهما قد ارتحلا من عندك مـــنذ مدة ولكنك لم تشبع حتى الآن! (الإنسان الغافل عن عقـــباه الطـــامع في دنياه لا يزال حريصا على البقاء في الدنيا مهما كانت الظروف والأحوال!).

(71)

- قم يافريد! فتوضأ فصل صلوة الفجر وعليك أن تقطع رأسا لا يخضع لربه ساجدا!(صلوة الفجر كبيرة على الكسالي العصاة كما أن الرأس العاصي المتكبر لا يستحق الحياة والبقاء!).

(72)

- مهِّد قلبك ووطّده يا فريد! فلا تترك فيه الحفرات ولا الأطلال وحينـــئذ لـــن تواجهـــك نـــار جهـــنم أبداً و تنقذ نفسك منها!(حفرات الذنوب والآثام وأطلال الكبر والغرور في قلب الإنسان هي التي تقود به إلى النار!)

(73)

- اســـتغث واصرخ يا فريد كما يصرخ ويصيح حارس مزرعة الـــذرة ولا بد أن تستمر صرخاتك وصيحاتك إلى أن تسقط آخر جذامة أو عشبة من أعشاب المزرعة(الدنيا مزرعة الآخرة فعـــلى الانسان أن يعبد ربه ويدعوه طوال الحياة إلى أنفاسه الأخيرة!).

(74)

- عليك يا فريد بالقضاء على كبرك وغرورك فاقتل كبر النفس وقطّعه تقطيعا ومزقه تمزيقاً كما تمزق القطن بالمزأبرة ، وحينئذ سوف تستحق رحمة الله التي لها خزائن، وتستطيع أن تنهب أية خزانة من خزائن الرحمة(الكبر يمنع رحمة الله فمن قضى على الكبر فقد استحق الرحمة!)

(75)

- يـــا ليتني لو قطع عنقي يوم ولدت يا فريد! وقطعوا السرة من رحـــم الأم لما واجهت مشاكل الحياة ولما عانيت الآلام !(لو مت يوم ولدت لما عانيت ولما تعذبت أبدا!)

(76)

- راحـــت الأسنان والأرجل وغابت الأبصار والآذان التي كان بهـــا رونـــق الحياة فبكي قلبي على ذهابها وغيابها وعلى موت الأحباء والأصدقاء!(الشاعر قد كبر وطعن في السن وفقد

الشباب و رونقه والأحبة وأنسهم، مما جعله يسئم الحياة.

(77)

- أحسن إلى من أساء إليك يا فريد ولا تتعذب بالغضب والغيظ! فإذا سلمت من هذه الأسقام والعوارض فقد اكتسبت كل شئ ونجوت!(الإنسان يتعذب كثيرا إذا غضب على من أساء إليه فإذا عفا عنه وصفح فقد نجا!)

(78)

- روح الإنسان ضيف على الدنيا التي هي حديقة خضراء يا فريد! وقد دقت ساعة الصبح فعليك أن تستعد للسفر!(الدنيا فانية والإنسان فيها مسافر قد ورد مساء وسيسافر صباحا!).

(79)

- العبادة ليلا كالمسك يوزع على العابدين، والذين ينامون يحرمون منه ولا نصيب لهم فيه، فالعيون التي تفضل راحة الليل على عبادته لا تكتسب شيئا من فضل الله ورحمته!

(80)

- وظننت يا فريد أنني أنا الوحيد الذي يكابد الحزن ولكنه قد عم الدنيا كلها فأحزنها، وحاولت أن أتبصَّر الدنيا من المكان

الرفـــيع فرأيت نفس النار من الأحزان تحرق البيوت كلها!(

وقال شاعر عربي:

كل من ألقاه يشكو للزمن ليت شعري هذه الدنيا لمن؟

(81)

- لا تدمر حافة مصرف المياه لتغير مجراها لأنك سوف تحاسب لأعمالك، وأما تيار المياه فذلك مما لا تملكه أنت، وإنما هو في يـــد الله ومقدرته، فالمياه تجري كما يريدها الجليل، ولا تتغير مجـــراها إلا بإذنـــه سبحانه وتعالى! (من أراد أن يسيطر على مجـــري الأمور فقد أراد الفساد والدمار لأن مجري الأمور بيد الأقدار!)

(82)

- قد قضينا النهار مع الأحزان كما أمضينا الليل على الأشواك، بيـــنما نســـمع الملاح ينادي واقفا علي المورد: إن السفينة في ورطة من مياه المصائب وتكاد تغرق فيها (يقول: الكل يشكو ويبكي الأيام في كل مُكان، إذا الخلق كله يعاني من الأحزان والآلام، بيـــنما يـــنادي المرشد المنقذ سبحانه وتعالى ويدعو للعمل الصالح!).

(83)

- الـــنهر الجـــاري طويل عميق، وضفته التيار المتموج، ولكن السفينة لا خطر لها ولا خوف عليها من الطوفان مادام الملاح

الـــزكى الحاذق يقودها! (الدنيا كد و كفاح خطير و المرشد القـــائد جل جلاله ينقذ خلقه ومن يطيعه من أتباعه ويهديهم الطريق).

(84)

- وسوف تري الكثيرين يدعون في كلامهم صداقتك، ولكنك لـــن تجد فيهم مخلصا واحدا، وأنا لازلت أتحرق توقانا ولوعة مـــن أجـــل صـــديقي الحبيـــب كما تتحرق ذرات الروث الجاف!(الصداقة ليست ادعاء كاذبا إنما هو صدق وإخلاص وتضحية قلما تجد ذلك في الدنيا!).

(85)

- نفسك الأمارة بالسوء يا فريد مثل الكلب النابح دائما، فمن الذي يستطيع أن يسمع لهذا الكلب الطامع الحريص! ولا بد لي أن أجعل القطن في أذني حتى لا أسمعها وهي تنبح بأطماعها مهمـــا ارتفـــع صوتها في الرياح العاصفة! (أن النفس لأمارة بالسوء فلا تلتفت إليها ولا تنصت لها!).

(86)

- إن ربك لذو فضل عظيم يا فريد! لأن التمور قد أينعت بإذنه وأنهـــار العمـــل جارية بكرمه، ورغم ذلك فإن كل يوم آت ســـوف آتي على عمرك!(ان الله قد ملأ الدنيا بنعمه المتكاثرة إلا أن الزمان ينقص العمر!).

(87)

- قـــد بذلت الجهد الجبار والوقت الكثير في الزهد والتنسك يا فـــريد! لتبحـــث عن ربك حتى جف بدنك جوعا وعطشا وظـــنك الغـــربان هيكلا عظميا ميتا فأخذت تنهش أحمص قدميك، ورغم ذلك فلم تتمكن من الوصل بربك وذلك من سوء حظ العبد ونصيبه!("نحن أقرب إليه من حبل الوريد" إذن فلا فائدة من هذا الزهد المضني والتنسك الجاف!).

(88)

- أيها الغراب قد عثرت على هيكلي العظمي وتستطيع أن تأكل لحمـــي كله ولكنني أر جوك أن لا تأكل عيني الاثنتين هاتين لأنـــني آمل أن أرى بهما ربي الحبيب!(وتلك هي غاية الحب الإلهي والأمل الصادق في ربهم عند أولياء الله!)

(89)

- أرجـــوك أيها الغراب أن لا تخدش هيكلي العظمي واتق الله وعليك أن تطير في الهواء وكيف تأكل لحم جسمي وفيه ربي الحبيب!

(90)

- اسمع أيها الغراب! أنا أقلع عيني الاثنتين هاتين فاحملهما طائرا إلى وجه الحبيب فإذا أتيح لهما الرؤية إليه فتستطيع أن تأكلهما

بعـــد أن تريا ربهما الحبيب الذي طالما بحثنا عنه في عطش و توقان شديدين للنظر إليه سبحانه وتعالى!

(91)

- وعـــند ما رأي الكركي الإوز العراقي يسبح على الماء اشتاق إلى الســـباحة إلا أنـــه لم يـــتمكن مـــنها فغرق مكبا على الوجه!(والكركي رمز النفاق والرياء عند الصوفية بينما الإوز العراقي يمثل النقاء والإخلاص على ألسنتهم).

(92)

- إنـــي ظننت نفسي إوزا عراقيا فاخترت صداقته وزمالته، ولو كنت أعرف أنه كركي لما اقتربت منه طوال حياتي كلها(لأن جليس السوء يفسد جليسه إذ هو يعرف به!).

(93)

- القـــبر المســـكين يـــنادي صاحبه دائما ويقول له: تعال إلى مـــنـــزلك يـــا من ليس له منـــزل ولا مأوى فأنا منـــزلك ودارك! ولأنك سوف تأتي إلى يوما لا محالة فتعال عندي ولا تخف الموت (اشدد حيازيمك للموت فإن الموت، لا قيك!).

(94)

- ولقـــد رأيـــت بعيني رأسي خلقا كثيرا قد ارتحلوا واحدا بعد الآخر يا فريد! إن الناس كل واحد له طريق وأنا لي طريق غير

طـــريقهم والكـــل مغادر هذه الدنيا لعقباه!(عند الموت ويوم الحشر يكون الناس وحدانا! وكل واحد منهم ينادي: نفسي نفسي ولا غيري!).

(95)

- ينادي الرب عزاسمه لابن آدم: إذا صلحت نفسك فاصبحت رجـــلا صالحا لوجدتني معك! وإذا رزقت بلقائي و وجدتني عـــندك لأرحـــت نفسك وفرحت فرحا لانهاية له! وأنت يا فريد! لو صرت لي عبدا لعشت عيشة راضية ولصار الخلق لك عبيدا!(من كان لله كان الله له وصار له الخلق كله!)

(96)

- الإنسان شجرة على ساحل نهر أو جرة من الطين داخل النهر فإلى كم مدة تقاوم الشجرة أمواج النهر الطاغية المتلاطمة وإلى كـــم مدة تستطيع جرة طينية أن تبقي سالما داخل النهر! ويد الفـــنا لا بد أن تتطاول وتأتي عليك نهائيا!(كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام!).

(97)

- قد بقيت القصور خالية موحشة وراح سكانها إلى المقابر حيث نزلوا تحت التراب، والآن ستقعد الأرواح حول مقابرها كما تقعد الطيور المسكينة الحزينة في مكان قفر شاحب هائل! فإذا مـــررت بها أنت أيها الشيخ الهرم فقل سلاما ورسالة منا بأننا

عـــلى وشـــك الرحيل فإما اليوم أو غدا!(هذه صورة حزينة ولكنها مرعبة للدنيا الفانية والمقابر الموحشة والأرواح المسكينة التي تطيع أمر الله القهار!).

(99.98)

- إن ســـد المـــوت يبدولي وكأنه ساحل النهر ينهدم و يسقط فيســـيل ترابه قليلا قليلا مع جريان الماء الجاري حتى يأتي الماء عليه أخيرا، وقد أبلغنا عن نار جهنم الفائرة الملتهبة في عقبانا مما يخوفنا ويسلط علينا هولا مرعبا! وأما أهل الدنيا من البشر فـــنراهم قد انقسموا إلى القسمين فقسم منهم قد أدركوا و فهمـــوا الحقائق كلها فاستعدوا لها استعدادا ،والقسم الآخر مـــنهم يمشون ولا يحفلون بشئ مما يجري حولهم أو يأتي لهم! ولن يكون معنا شئ بعد الموت غير أعمالنا في الدنيا وهي التي سوف تشهد علينا بين يدي الله عزوجل!

(100)

- كأن الإنسان كركي قد جلس على ساحل النهر يلهو ويلعب ويعـــربد أو كأنه إوز عراقي غافل يلهو ويلعب فإذا بالصقر، ملك الموت يفاجئه وإذا به ينسيه اللهو واللعب والعربدة حين يأتـــيه أمـــر الله وأجله! (وهكذا يأتي أمر الله والإنسان الأبله الغافل ينسي الأجل الذي يفاجئه دائما ولا يمهله لحظة إذ هو لا يتقدم ولا يتأخر أبدا !)

(101)

- جسم الإنسان المكون من سبعة أرطال يعيش على الماء والطعام، وهو قد جاء في هذه الدنيا وظل يهيم على وجهه يحمل عدلا مشدودا من الآمال الجسام دون أن يكتسب شيئا من العمل الصالح البناء في هذا العدل المشدود حتى يقتحم عليه الدار ملك الموت مكسرا جميع أبوابها فيأخذه أخذا مفاجئا ويشده شدا في قبضتيه الحديديتين بين يدي الإخوة الأحباء فيعدون جنازته إعدادا و يكفنونه بأيديهم فانظروا إلى مصير الإنسان المسكين قد خرج مسافرا سفرته الأخيرة محمولا على آلة حدباء يحملها أربعة رجال على أكتافهم!فمن عمل عملا صالحا يا فريد في الدنيا فذلك ما ينفعه بين يدي ربه!

(102)

- إني أفدي بنفسي لهولاء الطيور من الدراويش المتصوفة يا فريد! فإنك تراهم يعيشون في البوادي والغابات فهم ينقدون الحصى فتلتقطونها ويسكنون في الصحارى المجدبة، ولكنهم لا يتركون الطريق المؤدية إلى حضرة ربهم الحبيب!(هكذا يعيش الزهاد النساك في شبه القارة وكان منهم الشيخ فريد الدين مسعود، رحمه الله، الشاعر العارف البنجابي الأول!)

(103)

- قد ولي الشباب وحل الهرم يا فريد! فأخذ بدني يرتعش الآن، فكـــأن الربـــيع قد انقضي ودخل الخريف فأخذت الأشجار تـــرتعش وترتعد وسقطت ورقاها! وقد بحثت عن مكان في الأطراف كلها لكي آوي إليه ولكنني لم أجد مكانا آمنا يؤمن عن ضعف الهرم ووهنه!

(104)

- يـــا فريد! قطع الملابس الحريرية تقطيعا فاجعلها قطعا صغارا والبس دثارا من الصوف! واختر لك لباسا يفيدك عند اللقاء مـــع ربـــك الجيـــب عزَّ اسمه!(عش في الدنيا حياة يرضى بها ربك!).

(105)

- إن الذيـــن يتكبرون ويفتخرون بالمال والجمال والجاه يا فريد! ســـوف يخـــرجون مـــن الدنيا ولا شئ في أيديهم من الخير والصـــلاح كالأطلال العالية التي ينـــزل عليها المطر وينحدر مـــنها الماء انحدارا حتى لا تبقي قطرة ماء فوقها!(الشيخ يشبه الإنسان المتكبر بالطل العالي الذي لا يمكث عليها ماء الأمطار فكذلك المتكبر يموت و لم يكتسب شيئا من الأعمال الصالحة).

(106)

- والذين نسوا الله في حياتهم الدنيا فلم يذكروه ذكرا البتة فإنك سوف تراهم قد اسودت وجوههم وهي تخوف من ينظر إليها! إن هؤلاء الأشقياء يكابدون الآلام في الدنيا كثيرا وأما في العقبى فليس لهم مأوى ولا ملجأ يأوون و يلجأون إليه(الآثام والجرائم تغير وجوه العصاة وليس لهم حظ ولا نصيب في الآخرة!).

(107)

- والذي لا يسهر في الهزيع الأخير من الليل أي لم يستيقظ لكي يتهجد ويذكر ربه فهو ميت رغم حياته في الدنيا! وأنت أيها الإنسان الغافل! قد نسيت الله ربك ولكنه لا ينساك أبدا!(يرزق الله الأبرار والعصاة من عباده على السواء!).

(108)

- الصلوة والذكر في الهزيع الأول من الليل كالبراعيم والأزهار وأما ذكر الله في الهزيع الأخير فذلك ثمر ناضج فالذين يذكرون الله ساهرين ويعبدونه فهم الذين ينعم الله عليهم ويكرمهم برحمته!(وقد مدحهم الكتاب العزيز فقال: تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا الآية).

(109)

- أيـــتها المرأة تبحثين عن بعل غير الذي هو بعلك؟ وذلك يـــدل عـــلى نقص وعيب فيك أنت،لأن النسوة ذوات الـــبعولة لا تنظرن إلى أحد غيرهم!(أنت تدعى عبادة الله ربـــك ثم تفكـــر في غيره بينما عباد الله لا يشركون به أحدا!).

(110)

- الصبر قوس و الصبر وترة والصبر هو السهم ومادمت أنت صـــابرا في طلابك عن الحق فلا بد أن تصيبه يوما ولن تخطئ في الوصول إليه!(الصبر سلاح المؤمن وقوته وهو من عـــزم الأمور"إن الله مع الصابرين" فمن كان معه ربه فلا غالب إلا الله!).

(111)

- والصابرون يثبتون في معركة العبر ويتحملون الشدائد في سبيلهم إلى الحق جل شأنه! وأن الصابرين أقرب الخلق إلى الله ولكـــنهم يكـــتمون أســـرار هم ولا يبيحونها لأحد أبدا!(وذلك جزاء الصابرين الثابتين على الحق!).

(112)

- إن الصـــبر قوة صامدة فلو اخترت الصبر سبيلا بكل ثقة ويقـــين لعبرت الطرق الصعبة الوعرة ولصرت أقوي من

الأنهـــار الهائجـــة المائجة التي قد تفقد المياه إلى أن تصير نهيرات صغيرة!(الصبر هو أقوى سلاح المؤمن الصابر الذي يقهر الصعاب وينتصر عليها دائما!).

(113)

- يتحدث عن المتصوفة الكاذبين المرائين فيقول): إن طريق الزهد والتصوف طريق صعب وعر و أما الذين نراهم في يومنا هذا فهو زهد كالحب الكاذب الخادع ويقوم على الـــرياء وما رأينا درويشا أو زاهدا واحدا يمشي ويسلك الطريق الحق الصحيح من الزهد والفقر!

(114)

- (حـــب الله الصبـــادق له حـــر وله وزن، يقهر العشاق ويـــزيدهم قـــوة ونشاطا وعن ذلك يتحدث الشيخ فريد الدين مسعود فيقول: إن بدني ليزداد حرا و لوعة ويحمي ويضـــطرم مثل التنور إلا أنني داخل التنور من حب الله ولكـــن حطـــبه مـــن عظامي التي تحترق حبا حارا لربي الحبيب، وأنا في سبيله للوصول إليه فإذا تعبت رجلي و لم تستطع أن تمشي فسوف أمشي على رأسي آ ملا راجيا بأنني سوف ألاقي ربي الحبيب!

(115)

- الدنيا بحيرة من الحرص والطمع والأمل ليس لها ساحل ولا حد، والإنسان مثل الطير المسكين يقع على شاطئ البحيرة فيجره ويجذبه هذه الآمال والأطماع إليها فأني له أن يتقيها إلا بإذن الله، وفي ذلك يقول الشاعر المتصوف): إن الطائر الواقع الجالس على ساحل البحيرة وحيد وحوله عشرات من أصحاب الفخ والشبكة! إن بدني قد تورط في أمواج البحيرة ولا أمل في النجاة والإنقاذ من غير الله جل جلاله!

(116)

- (العاشق الولهان يبحث عن طرق تمكنه من إرضاء الرب قائلا سائلا): ما هو الحرف الذي يفيدني في البلوغ من رضاه وما هو الوصف الحسن الذي يعجبه وما هي الكلمة الصحيحة التي أدعوه بها وما هو اللباس الذي البسه لكي يعجبه فيحبني!

(117)

- (يعرفنا الشيخ بالدرويش الزاهد المتواضع ولي الله ويقول): هو الذي يكون عاقلا حكيما دون أن يفرض عقله وحكمته، ويكون قويا ويعتبر نفسه واهنا ضعيفا ويكون

قلـــيل المال ويشارك فيه معه غيره من عباد الله ويتقاسم معهم مما رزقه الله فذلك هو الدرويش الولي!

(118)

- (والدرويش الولي من) لا يكلم الناس كلاما جافا مضجرا يجـــرح القلب لأن الله في قلب كل إنسان، فهو لا يجرح العواطـــف لأن قلـــب الإنســـان لؤلؤة ثمينة وذلك هو الدرويش الولي!

(119)

- وقلب كل إنسان غال ثمين فليس حريا أن تجرح مشاعره وإن كنـــت تطلب وتتمنى أن تكسب رضا ربك الحبيب الجليل فلا تجرح قلب أي إنسان أبدا.

***

شعر المقاطيع الموسيقية

ومـــن المقاطيع الموسيقية الهندية مقطوعة"(آسا" قطعتان: آسا الأولي وآسا الثانية، وللشيخ فريد الدين مسعود شعر قداختاره الموسيقيون "السيخ"لمناسباتهم الدينية في معابدهم حيث يغنون شعر الشيخ وهو كما يأتي:

شعر "آسا "الأولي

شعر المقاطيع الموسيقية للشيخ فريد

"صوت آسا الأول"

(1)

- الذيـــن يحـــبون من أعماق القلوب هم الصادقون والذين يختلفون قلبا و وجها فيقال لهم غير الناضجين الخامات.

(2)

- والذين اصطبغوا بصبغة الله سيرزقون برؤيته والذين نسوا ذكـــر الله فقـــد أصـــبحوا حمـــلا ثقيلا على أرضه فهم كالأموات!

(3)

- والذيـــن اختارهم ربهم ليكونوا الدراويش وفقراء الله في خلقه فهم السعداء حقا، وأولاد الأمهات الطيبات اللاتي تستحق التهنئة والتبريك، وهم الفائزون برضا ربهم!

(4)

- يـــارب العالمين أنت الصمد وأنت كلي الوجود والباقي الخالد، والذين قد عرفوا الحق فأنا أحب أن أقبل أقدامهم وأرجلهم!

(5)

- يارب! قد عذت بك ولجأت إليك فأنت الغفار و الشيخ فريد يتضرع إليك سائلا راجيا فأنعم عليه بعبادتك!

شعر "آسا" الثانية

(1)

- يقول الشيخ فريد: أيها الناس! عليكم بحب الله والرجوع إلـــيه فـــإنكم سوف تموتون وأن أجسامكم هذه التي من الطـــين ســـوف تكـــون ترابا والقبر ينادي بذلك إذ هو منـــزل الجسم الأخير ومنقطع الأثر!

(2)

- إن حـــياتك هـــذه يا شيخ فريد! إنما هي مزرعة الآخرة ومجـــال العمـــل الصالح! إذن، فلا بدلي أن أمسك بآمالي وأطمـــاعي الـــتي هي سرب من الإوز العراقي الجميل، وتحـــرض نفســـي على القلق والاضطراب من أجل هذه الآمال الكثيرة والأطماع البعيدة!

(3)

- وما دمت أعلم علم اليقين بأن الموت آت ولن أرجع إلى الدنيا مرة ثانية فلماذا أطلب الدنيا الماكرة الكاذبة وأضيع نفسي من أجلها!

(4)

- وعلينا ألا نقول غير الحق ولا نكذب أبدا! كما يجب علينا أن نتـــبع الطريق الذي أخبرنا به المرشد الهادي مع جماعة المريدين غيرنا!

(5)

- الأقويـــاء في الإيمـــان مثل الشباب من الصالحين سوف يعبرون الصراط عبوراً ، و أما ضعفاء الإيمان مثل النسوة الجمـــيلات ذات الأبـــدان الذهبية المتلألئة فإنهم سوف يســـقطون في المهـــالك فـــتقطع أجســـامهم كما تنشر

الأخشاب بالمنشار! (عبور الصراط معركة لن ينتصر فيها غير الصالحين!)

(6)

- الحـــياة الدنيا فانية ولابقاء لها ولا خلود، ولن يدوم فيها أحـــد يـــا شيخ! فإن هذا المكان الذي جلنا فيه جولة قد ســـبقنا إليه الكثيرون، وقد ذهبوا إلى غير رجعة! وكذلك نحن لسنابعائدين!

(7)

- أسراب الإوز العراقي في فصل الخريف، والزهور المزدهرة الحمـــراء في فصـــل الربيع، والرعود الصارخة في فصل الأمطـــار و نومة الحسناء بجانب عشيقها الحبيب في ليالى الشتاء، كل ذلك مناظر رائعة ، ولكنها في معرض الفناء دائما فلا قيمة لها ولا عبرة!

(8)

- المســـافرون يمشـــون ولا يمكثون، وعليك أن تسمع منى نصـــحا نافعا! بدن الإنسان في رحم أمه يتكوَّن و يكتمل في ستة شهور ، وأما فناؤه ودماره بالموت فإنما هى طرفة عين! (البناء صعب والفناء رخيص!).

(9)

- الأرض والسماء كلها سوال يا فريد! وهو: أين ذهب الملاحون من القادة الكبار والجواب: القبور تعرفهم و تحويهم مع الزجر والطعن على ما قاموا به من الأعمال السيئة ، وهم يتحملون ذلك و يتعذبون به!

صوت "سوهى"

(مقطوعة موسيقية هندية معروفة)

و شعر الشيخ فريد فيه

(1)

- إنها (الحسناء) تكاد تموت حرقة ولوعة و حسرة، وتلوى كفـــيها بعنف، كأنها قد جنت في فراق الحبيب والبحث عنه! (الروح في هذه الدنيا قلقة مضطربة وتحن إلى بارئها الحبيب سارعة وتظل تنادى و تقول كمايأتي:

(2)

- أنت الرب الملك ولماذا أنت غضبان وزعلان منى! أنا التي لـــيس لها ذنب ولا عيب إلا أنني شقية مهجورة يارب! وعلى استعداد أن ألبي دعوتك متى ما دعوتني!

(3)

- أنت ربي وما لكي ولكنني عشت في الدنيا و لم أستطع أن أقدر قدرك يا مولاي! والآن وقد فقدت شبابي وأمضيت وقتي غافلا وأندم على هذه الخسارة!

(4)

- وقـــد قيل للوقواق الهندي: لماذا أنت أسود اللون؟ فقال المســـكين: قد فارقت حبيبي منذ زمان واحترقت في فراقه حبا ولوعة حتى اسود لونى هذا الذي ترونه!

(5)

- وأني للعاشق الولهان أن يستريح دون عشيقه وحبيبه إلا إذا كان فضل الله فسوف ألتقي به وأطمئن إلى رؤيته!

(6)

- إنني كإمرأة وحيدة في مكان قفر ليس لها أنيس ولا رفيق وهي تخاف وترتعد!

(7)

- فـــإذا بها يكرمها ربها فتجد رفيقها الحبيب بجانبها وترفع أنظارها فإذا بها في جوار الله وبين يديه!

(8)

- إن ســـفرنا طويـــل وطريقنا صعب للغاية إنه أسرع من الصوت وأدق من الشعر!

(9)

- فعلي ذلك الطريق الخطير الصعب سفري فعليك يا شيخ فريد أن تأخذ بيالك هذه السفرة مبكرا صباحا! (سأعبر الصراط إلى جوار بي !).

صوت آخر يسمي"سوهي للت" وفيه شعر الشيخ فريد

(1)

- (يـــتحدث عن طغيان النفس الأمارة بالسوء في الشباب وعـــنده الفـــرص للعبادة فيقول):إنك لم تتمكن من شد الأخشاب للسفينة في وقتها أي لم تستطع أن تقهر نفسك في الشـــباب حتى طغي الماء في النهر، و لم يعد لك الوقت للســـباحة، وخســـرت الدنيا والآخرة! فلم تتمكن من الحصول على زهرة عيد الفطر، وقصرت في أعمالك! لا تحـــاول الآن أن تقطفها لأنها سوف تحرق يديك!(اترك الدنيا ولا تطمع فيها).

(2)

- يناديك مناد أيها الإنسان صباح مساء ويقول: كن صالحا واكتسب الحسنات، وأنت قادر عليها فلن تعود إلى دنيا العمـــل كمـــا لا يعود الحليب المحلوب إلى ثدي،فذلك مستحيل!

(3)

- يقول الشيخ فريد: اسمعوا يا أصدقائي! سوف تأتينا دعوة مـــن مولانا الحبيب جل جلاله، والإوز العراقي هذا أي روح الإنســـان ســـوف يفارق جسده والجسد يصير إلى التراب في المقبرة وذلك هو المصير المحتوم!

فائت شعره

وللشـــيخ فـــريد الدين مسعود شعر غير شعره الذي رواه"المعلم نانك" في مختار شعره البنجابي الذي يضمه كتاب فتة السيخ المقدس فمن ذلك أبيات ترجمتها كما يأتي:

(1)

- قـــم يا فريد النائم الغافل فكنس المساجد ونظفها، أ أنت تنام وربك حي قيومٌ لا تأخذ سنة ولا نوم"أفلا تعرف أن صـــلتك الودية بذات قاهر صمد! (عباد الله المخلصون لا ينامون!" تتجا في جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا!"

(2)

- ولا تـــرفع صوتك يا فريد! فإن ربك الجليل يعلم ما في القلـــوب! فإذا كنت أنا في قلبك فلما ذا تناديني بصوت مرتفع كأنني بعيد عنك! (قلوب المؤمنين عامرة بذكر الله ولا تخلو منه طرفة عين!)

(3)

- ومن العباد الذين يتعظون تلقائيا حيث يعظهم الله نفسه، بينما البعض الآخر منهم من يطلب التوفيق بالله للمواعظ وقســـم ثالـــث منهم يعظهم الله فلا يتعظون بذلك فهم كالصـــخور تـــنـــزل عليها المطر دون أن ينفعها في شئ

(الـــناس ثلاثة أقسام:السعداء المتعظون تلقائيا أو يطلبون التوفيق فيهديهم الله، وأشقياء لا ينفعهم الوعظ ولا النصح البتة!).

(4)

- إما تطلب الدنيا أو تطلب ربك الحبيب! ولكن احذر أن تركـــب ســـفينتين في وقت واحد حيث تكون رجل في ســـفينة وأخـــرى في ســـفينة أخـــري فـــتغرق رجلاك منفردتين!(النفاق لا ينفع إما إلى الجنة مع الإيمان أو الكفر إلى النار!).

(5)

- قـــد صار الشيخ فريد عجوزا واهنا، وقد أخذت مفاصله تـــرتعش كما تهتز أغصان الأشجار بالريح العاصفة! وقد كادت الدلاء تصعد بالماء من البئر إلا أن الحبل أيضا على وشك الانقطاع!(قد صار الشيخ هرما واهنا ونضج عقله، وهو على وشك الرحيل!)

(6)

- قـــد فتحت مرسي السفينة واقتحمت بها المياه، إذن، فلا تقف باكيا على الشاطئ لأنك لن تعود إلى الدنيا فلا تنم نوما طويلا!(أنت في خضم الأخطار والمهالك! فلا تضيع وقتك واعمل لآخرتك كأنك ميت غدا).

(7)

- أما جسمك فإنه لم يعد قادرا على عمل، وأما قلبك فقد انفجر انفجارا فلم تعد تقدر أنت على شئ! فقم يا حبيبي وكـــن طبيبا وهات لي دواءً نافعا شافيا!(يستعين بالله في شيخوخته على العمل الصالح!)

(8)

- عليك بالباب الذي ركزت عليه أنظارك يا فريد! فلا تعد عيـــناك عنه! حتى ولو مطر عليك المطر الغزير!(كن ثابتا على دينك ولا تتزلزل!).

(9)

- إني أكـــابد ألم المرض، ولا ينفعني الدواء حتى ولو عالجني مئات الألوف من الأطباء، ولكنني أشتفى وأستفيق عندما أري حبـــيبي بجـــانبي (القلب الولهان لا يهدأ إلا بلقاء الله الحبيب!).

(10)

- أنـــت يا فريد تنام على السرير ليلا، وأما نهارا فإن بطنك يطلب منك أن تكتسب له رزقا! ولكن عند ماجاء وقت الاكتســـاب نمـــت على السرير!(قم الليل فتهجد واعمل لآخرتك!)

(11)

- إذا اســـتطعت أن تنادي ربك يا فريد! فعليك أن تدعوه لأنـــه سوف يأتي عليك وقت فيه يستجيب الله دعاءك! ولكنك إذا مت فلن تستطيع أن تدعو الله أوتناديه!(اغتنم العبادة ولا تضيع الفرص!)

(12)

- إن الإوز العراقي تستمر في سباحته في الأمواج المتلاطمة، ولكـــن أني لهذه الكراكي أن تسبح إذ هي تغرق في أول الأمـــواج!(المؤمن القوي العزم لا يسئم العبادة أبدا بينما ضعيف الإيمان لا يثبت ولا يستقيم في العبادات!).

(13)

- لا ترفع صوتك يا فريد! فان الله عليم بذات الصدور! فإذا كان في قلبك شئ من السوء الدنس فعليك أن تبعده عنك وتطهر قلبك من الادناس والسيئات!

(14)

- يا حبيبى الصادق أنا أذكرك صباح مساء دائما، فعش نهاراً مسرورا، وتمتع بأحلامك الحلوة ليلاً!

(15)

- كـــن ملجأ مخلصا لمن يلجأ إليك، ولا تطمع في شئ من عنده! وكن له ناصرا مساعدا دون أي طمع وحرص، أما تـــري النهر كيف يعطي اللؤلؤ للغواصين فيه مجانا و دون أي تعويض!

(16)

- (البشـــر أنـــواع) فمنهم من يشترى الملح على القرض، ومـــنهم مـــن يتمتع بالمسك مجانا ودون أن يدفع له ثمنا، ومنهم من ينظف ظاهره بالصابون والكل في الباطن ليس نزيها! وقد قال المعري:

يحسن مـــرايا لبني آدم وكلهم في الذوق لا يعذب!

(17)

- الـــيوم أو غـــدا او بعـــد أربعة أيام سوف تكون الحبيبة (هـــير)في ملكنا وحوزتنا ولكن المهم والممتع الأفضل أيها الأخ هو: من هو المنتصر ومن هو المنهزم؟!

(18)

- أمـــا تـــتمني لواحدة وتتشوق إليها أو تسائل عن اللواتي يبغينك ويشتقن إليك، ولكن لا تملك نفسك في الاشتياق إلى من لا يعرفن الحب والشوق إطلاقا! (كن عبدالله وحد ولا تتبع الهوى الكثيرة).

(19)

- تعـــالوا نبحـــث ونـــتفقد يا أصحابي! نعمل جولة وهيم عشوائيا في الدنيا، ولكن علينا أن نحتفظ برأس مالنا أولا ثم نـــأخذ الربح على ذلك (الإيمان هو رأس المال للعمل الذي ينفع فاذا احتفظنابه فقد يمكن أن يثمر جهودنا!).

(20)

- هذه الأشجار ذات الأوراق الخضراء في البادية أو الغابة، قد قدرلها في الكتاب من الشهور والأيام (الأجل مكتوب والحياة محدودة فإذا جاء الأجل لا يتقدم ساعة ولا يتأخر أبدا!).

(21)

- هـــذه المســـاجد المقلوبة قد عمرها الله وزينها في حفظه وحوزته، وسوف تري في الدنيا في كل مكان جمالا يرجع إلى صنع الله وقدرته!

(22)

- إن الجســـد الـــذي يعـــاني من الهجر والفراق منذ المولد والوجـــود كـــيف يمكن له أن يكون عليه لحم! وأن هذا الـــنوع من الجسد كفى له من العظام و الجلد وشئ قليل من اللحم!!

(23)

- لا يذهب بك الظن أيها الحب الودود بأنني أجد الراحة في فـــراقك وأعيش عيشا رغيدا، وإنما أنا خشبة من البادية أضطرم ليل نهار اضطراما!

(24)

- إن الذيـــن ينســـون الله ربهم الحبيب، ويضيعون الشباب ويختـــارون طريق الحمق! هم في الواقع ينسون رأس المال مـــن الذهـــب ويمـــلأون أكفهـــم بالتراب!(وهي تجارة خاسرة!).

(31)

- أيها الحبيب! الليالي طويلة جدا، ونجمع بين ليلتين دائما، أما أنت فلن تستطيع أن تقضى ليلة واحدة منها وأما نحن فلابد لنا أن نقضيها كلها!

(32)

- إذا كنت درويشا فقيرا يا فريد! فعليك أن تحتفظ بعقيرتك الصـــحيحة، وركـــز أنظارك على الصراط المستقيم، ولا تنحرف عنه يمينا ولا شمالا قيد شعرة!

(33)

- وإذا أردت أنـــت أن تحـــج البيت فتأكد بأن الحج يتصل بقلـــبك وضـــميرك، فحاجتك إلى أن تزيح الأستار عن

القلب وتنظف الباطن، وحيئنذ سوف تكون حاجا صادقا من الحجاج الأبرار!

(34)

- ومـــا دمت تعيش في هذه الدنيا فعليك أن لا تترك فيها آثارا من الإثم والعصيان، وعليك أن تهتم بشئ واحد وهو رضـــا الله ربـــك الحبيب سبحانه وتعالى وأما ماعداه من الأشـــياء ففوض أمورها إليه فهو نعم الوكيل ونعم المولي ونعم النصير!

(35)

- إن الدنيا تبدو عروسا بزيَّها وحلاها إلا أنها كاذبة خدعة لـــيس لهـــا ثبات ولا دوام! وقد تراها بعينيك هاتين قد اقفـــرت وتخربت في طرفة العين بين يديك!(متاع الدنيا غرور).

(36)

- إنـــك ترى اللحي مع أصحابها يا فريد! ولكنها لاتساوى بشـــئ في قيمتها ومكانتها، وإنما تختلف لحية من أخرى! فمنها لحية تعادل مئات الألوفَ من الثمن والمكانة، ومنها مالا تعادل قشة بل هي أرخص وأهون منها بكثير!

(37)

- دنيانا هذه حقيرة فالباب مخيف موحش، والدار مهجورة ضـــيقة، والقبر المظلم يناديني ويدعوني كل يوم! وتأكد يافريد أنه ليس لك من دنياك هذه إلا عملك الصالح الذي سيرافقك في غدك من العقبى!

(38)

- وفي قلـــبك نهر يا فريد! فماذا ستأخذ من الساحل الذي تمشي عليه! فعليك أن تنغمس في الداخل وتغوص في نهر قلبك حيث تجدما تقصده وتريد!

(39)

- اشـــتغلت بأطماع الدنيا فنسيت الجهد في سبيل الرزق، والمشقة من أجل الاكتساب، وعندما حان وقت المسؤ لية نسيت كل شئ! (يجب أن يكون الإنسان على وعي دائما ولا ينســـي الواجـــب نحـــو ربه وخلق الله! فذلك هو التقوى!).

(40)

- عـــش عـــلي أمل ورجاء صباح مساء دائما وأماآمالي أنا فسوف تتحقق يوم يطلّ حبيبي عليّ من باب الدار!

(41)

- عـــش يافريد كما تعيش و تبقي قشة في صحن المسجد حيـــث تدوســـها أقدام المصلين، ورغم ذلك، فإن القشة المسكينة تبقي في مكانها في المسجد كما هي لا تشكو ولا تتحرك، فكذلك كن ثابتا متواضعا في حبك الصادق:

(42)

- قد فقدت جلدي في خدمة السيد الحبيب و لم يبق اللحم علي جسدي وسوف أظل في خدمته حتى يصير جسدي ترابا في القبر!.

(43)

- وتســـتطيع أن تســـتريح وتأمن دون خوف وحزن، ولن يســـألك أحد ولن يحاسبك محاسب إذا نزعت الكبر من الباطن فالكبر مصدر العصيان والطغيان، وهو الذي جعل إبليس شيطانا رجيما!).

(44)

- اللـــيلة أربـــع ســـاعات يا فريد! ساعتان للنوم والراحة، وســـاعتان للعمـــل واليقظة! وأما النوم الطويل، فسوف يكـــون في القبر حيث يعوض الإنسان عن السهر الطويل الـــذي يمر عليه في الحياة الدنيا حيث يرضي حاجته من الراحة والنوم!

(45)

- إن عـــباد الله العـــاملين العابدين لا يستريحون كثيرا، ولا يـــنامون لـــيلا لأن الذين ينامون ويستريحون أني لهم أن يفوزوا بالبركات والثروات!

(46)

- الأذن والسن والعين كل ذلك قد فارقني وهجرني نهائيا! وقـــد كانـــت هذه كلها معي منذ القدم، وقد كانوا من رفاقي وأصدقائي إلا أنهم قد فارقوني أخيرا فبقيت وحيدا وفردا فريدا!

(47)

- إن الجوهـــرة تكـــون ثمينة جدا يا فريد! ولكن قيمتها لا يســـتطيع أن يقدرهـــا الزجاج، وإنما يعرف قدرها الملك العظيم أو الجوهري أو الصراف!

(48)

- إنَ أمي كانت امرأة بسيطة حيث سمتني بالحياة! ويوم يأتي الأجل فيه فلا ينفع الإسم ولا الحياة! (الناس يتفائلون في التسمية ولكن التفاءل لا ينفع في شئ إذا جاء القدر وحان الموت!).

(49)

- إنني أنا مكة وأنا القصر وأنا المحراب وأنا الكعبة فإلى أين أتوجه في الصلوات!(الشاعر العارف يري نفسه قد تسرب في الوجود واستوعب الكون كله بقلبه ! وذلك من غاية الحب لما خلق الله في كونه من الخلق!

(50)

- قـــد هرب موسى من الموت باحثا عن طريق النجاء فهام باحـــثا مفتشا عنه في أربع جهات من الكون فإذا بالأجل في موعده في مكانه وفي انتظاره!

(51)

- أمـــا أنـــا فجسد ملئ بالعيوب والنقائص ولا أملك من الجمـــال والحسنات شيئا، وأما أنت يا حبيبي! فلم أجد أحدا مثلك بينما يوجد أمثالي بآلاف المئات! ليس كمثله شئ!

(52)

- إنك تجد الكثير من السلاح والوسائل والآلاف من الجيش والخـــدم ولكن إذا أصابتك مصيبة فأنت الوحيد حيث لا ناصر لك ولا معين ولا صديق إلا الله!

****